الثقافة

AL-THAQAFA

الإدارة : ٩ شارع الكرداسي بعابدين — القاهرة — تليفون رقم : ٤٢٣٩٦٦ / ٥٦٧٦٩

العدد ١٠٦ | الثلاثاء ٩ من ذى الحجة سنة ١٣٥٩ — ٧ يناير سنة ١٩٤١ | السنة الثالثة

فهرس العـــــدد

" الثقافة " فى عامها الثالث

باسم الله تفتتح " الثقافة " العام الثالث من حياتها ، وهى أشد ما كانت اغتباطاً ، وأوسع ما كانت رجاءً ؛ فقد اتصلت بنفوس قرائها الكثيرين ، وأصبحت جزءاً من حياتهم العقلية ، يترقبون موعدها ، ويتصفحون صدورها ، ويفتقدونها إذا غابت ، ويتشوقون قراءتها إذا حضرت ، ويعدونها غذاءً من غذائهم الروحى ، ومتاعهم الأدبى ، وقد وثقوا صلاتهم بها ، يقدمون إليها خير نتاجهم ، ويستفسرون منها عما يُعَمَّى عليهم ، ويحددون نواحى قوتها ، وينقدونها فيما يأخذون عليها ، ويعطفون عليها فى حالها .

وهى من جانبها لم تدخر وسعاً فى أداء واجبها ، فأخلصت للعلم والأدب ، وحرصت على أن تخدم الحق ؛ فلم تمرض للعلم الرخيص ، ولم تنزل للأدب الوضيع ، ولم تحد عن الحق .

لقد صادفتها مصاعب كثيرة ، منها ما هو مادي ومنها ما هو معنوي ؛ فقد غلا الورق وصار ثمنه أضعاف ما كان ، حتى صار ثمن المجلة ورقاً أبيض يكاد يكون أكثر مما تباع به — فكيف مع التحرير والطبع ؟ وعز في السوق حتى صعب الحصول عليه ، وفرغ الناس لأخبار الحرب والسياسة أكثر مما فرغوا للعلم والأدب ، ولم تكثر قراء المجلات الجدية في الشرق بنسبة انتشار التعليم فيه ، وانكماش الأمية منه ؛ وقل الانتاج الأوربي ، وقل وصوله إلينا ، إلى غير ذلك من عوائق ؛ ومع هذا ظلت المجلة سائرة في سبيلها ، علماً منها بأنها تؤدي واجباً ولا تطلب نفعاً ، وتغزو الجهل ولا تغزو المال ، وتفتح أبواباً للعلم والأدب ولا تفتح متجراً ؛ و "لجنة التأليف" من ورائها تشجعها على المضي في سبيلها مهما لاقت ، ولا تعبأ بالمال مهما تحملت ؛ وكل غايتها أن تخدم غرضاً رمت إليه [illegible] ه وصممت عليه .

لست أنسى يوم خروج "المجلة" لأول عهدها ، واللجنة واجفة تحسب لها ألف حساب ، وتخشى الفشل أشد خشية ، وترى أن هذا أول عمل لها من نوعه ، وأنه يخالف ما درجت عليه ، فهو يعرضها للاتصال بالجمهور وجهاً لوجه ، ويربطها به ارتباطاً دقيقاً بالساعة والدقيقة ، ويلزمها بتقديم الغذاء الصالح له دائماً أبداً ، لا يعفيها من ذلك صيف ولا شتاء ، ولا إجازة ولا عيد ؛ وإنها لا تفرغ من عدد ظهر إلا لتفرغ لعدد يظهر .

وما كان يزيد خوفها أن الله وفقها في كل ما حاولت ، من اختيار أعضاء ، ونشر كتب ، وإنشاء مطبعة ، وما إلى ذلك من أعمال ، فهي لم تجرب الفشل أبداً ؛ ومن أجل ذلك خافت من تصور الفشل في عمل .

واليوم ، وقد مضى عليها سنتان ، تستقبل العام الجديد بقلوب مطمئنة ، حامدة الله على النجاح المتتابع ، والفشل الهارب ، شاكرة لجمهور القراء حسن تقبلهم ، ولطف معونتهم ، وجميل تشجيعهم .

وليست السنتان الأوليان في عمر مجلة بالشيء اليسير والزمن القصير ، فقد وضحت الأعلام ، ووضح النهج ، وتفتحت العيون للتجارب ، تستفيد من النجاح ومن الفشل ، وتعرف وجوه القوة فتستزيدها ، ووجوه الضعف فتقويها ؛ ولا سيما أنهما سنتان بعشر ، استوت مع باقي السنين في الطول ، ولكنها اختلفت عنها في العرض ، فإذا صلب عودها على العسر فأولى أن تمرح في اليسر ، وإذا سلمت في البؤس فهي أصلح للبقاء في الرخاء .

لقد استرشدنا بنصيحة ابن المقفع الغالية ، إذ يقول: "على العاقل أن يحصي على نفسه مساويها في الدين ، وفي الرأي ، وفي الأخلاق ، وفي الآداب ؛ فيجمع ذلك كله في صدر أو في كتاب ، ثم يكثر عرضه على نفسه ، ويكلفها إصلاحه ، ويوظف عليها توظيفاً ، من إصلاح الخلة أو الخلتين أو الخلال في اليوم أو الجمعة أو الشهر ؛ فكلما أصلح شيئاً محاه ، وكلما نظر إلى ثابت اكتأب".

فنحن أعرف بما عملنا ، وما يجب أن يعمل ، وما كان عليه ماضينا ، وما يجب أن يكون عليه مستقبلنا ، والخطوات التي قطعناها ، ومدى الأغراض التي ننشدها ، ولكنا لا نسرف في وعود ، ولا نتبجح في آمال ؛ فخير أن نعمل من أن نتكلم ، ونفاجئ بالإصلاح من غير سبق نذر . ولنكرر شعارنا الذي اتخذناه من يوم إنشائها ، وهو : "إلى الأمام والله يؤيدها" .

أحمد أمين

أمريكا ودول المحور

رسالة ونبـــوءة

بقلم «القارئ» السياسي

كان الرئيس روزفلت في رسالته التي أذاعها على الشعب الأمريكي لمناسبة العـام الجديد ، والتي تناول فيها موقف أمريكا من الحرب الحاضرة أشد صراحة ووضوحاً منه في أية رسالة سابقة ؛ وإذا كان الرئيس روزفلت لم يخف في أي تصريح سابق أن أمريكا تزمع بالرغم من حيادها أن تبذل كل ما في وسعها لمقاومة عدوان النازية والفاشيستية ، ونصرة الجبهة الديمقراطية ، فإنه يحمل في رسالته الجديدة على دول المحور وعلى أغراضها أعنف حملة ، ويصرح بصورة قاطعة أن أمريكا ستقف في هذه الحرب صراحة إلى جانب بريطانيا العظمى ، وأنها لا تفعل ذلك مدفوعة بوشائج الروابط التاريخية والشعبية المشتركة ، ووحدة النظم والمدنية والمصلحة فقط ، ولكن أيضاً لأن أمريكا يجب أن تعتبر بريطانيا خط دفاعها الأول ، وأنه إذا قهرت بريطانيا ، استطاعت دول المحور أن تتحكم في مصاير أوربا وآسيا وأفريقية والبحار ، وتمكنت بذلك من أن تسير إلى العالم الجديد بقوى هائلة ، وأن أمريكا يجب ألا تعتقد أنها تستطيع الاعتصام من الخطر عياذ المحيطين الأطلانطي والهادئ ، بل بالعكس فإن الخطر يمثل أمامها منذ الآن ، فإذا انهارت بريطانيا ، أضحت معرضة لوثبات الشافع ؛ وأن أمريكا إذا أرادت أن تجتنب ويلات الحرب المباشرة فما عليها إلا أن تقدم لبريطانيا كل ما استطاعت من سلاح ومواد وذخيرة ، وأن تشد أزرها في وقفتها التاريخية للذود عن المدنية والديمقراطية ، وأن تغدو أمريكا بالفعل داراً لتموين الديمقراطية كلها بالسلاح ، وأن تفعل ذلك كله بروح العزم والتضحية كما لو كانت تخوض الحرب ذاتها .

وإلى جانب هـذه التصريحات القوية الواضحة عن موقف أمريكا من الفريقين المتحاربين ، يصرح الرئيس روزفلت بأمرين في منتهى الأهمية والخطورة ، أولها أن الولايات المتحدة ، إزاء ما توجهه إليها دول المحور من التهديد ، لا ترى ثمة أي سبب يدفعها الآن لتشجيع حديث الصلح حتى يجيء اليوم الذي يبدو فيه عزم المعتدين على التخلي عن فكرة السيطرة على العالم . والثاني هو اعتقاد الرئيس روزفلت بنجاة على أحدث وأصح المعلومات التي وصلت إليه ، بأن دولتي المحور لن تنتصرا في هذه الحرب .

***

لما نشبت الحرب الحـاضرة ، لبثت الحكومة الأمريكية مدى حين قبل أن تستطيع تحديد موقفها إزاء الفريقين المتحاربين بصورة جلية ؛ وكان الحظر عندئذ قائماً على تصدير السلاح والمواد الحربية ، وفقاً لقانون الحياد الأمريكي ، وفي نوفمبر سنة ١٩٣٩ ، أصدر البرلمان الأمريكي قانون الحياد الجديد ، وأباح فيـه العودة إلى تصدير السلاح والذخائر إلى المتحاربين على أساس « الدفع والنقل » ؛ ومع أن القانون لم يفرق في ذلك بين الدول المتحاربة ، غير أنه كان من الواضح أن بريطانيا العظمى وحليفتها فرنسا ، وقد عما اللتان تستطيعان وحدهما الاستفادة منه بما تملكان من أموال احتياطية وأساطيل ضخمة ؛ ومن ذلك الحين بدأت معاونة أمريكا لبريطانيا

وحلفائها بتصدير السلاح والذخائر ؛ فلما انهارت فرنسا ودخلت إيطاليا الحرب إلى جانب ألمانيا ، أدركت أمريكا فداحة الخطر الذي تستهدف له بريطانيا بوقوفها وحدها في وجه الخطر الألماني ؛ وصرح الرئيس روزفلت يومئذ بأن أمريكا ستمد خصوم القوة والعدوان بمواردها المادية ، وأخذت أمريكا في مضاعفة جهودها لامداد بريطانيا بالسلاح والذخائر والمواد الحربية على اختلافها .

ووقفت بريطانيا وقفتها المشهورة في وجه السلاح الجوى الألماني في شهرى أغسطس وسبتمبر الماضيين ، وأثبتت بما أنزلته بالطائرات المغيرة من الخسائر الفادحة ، متانة سلاحها الجوى ، ومناعة أهبتها الدفاعية ؛ وانهارت بذلك مشاريع الغزو الألماني لبريطانيا ، مؤقتاً على الأقل ؛ فازدادت ثقة أمريكا وثقة العالم بقوة بريطانيا ومقدرتها الدفاعية ؛ وتقدمت أمريكا خطوة أخرى في التفاهم مع بريطانيا على بعض خطط الدفاع المشترك في المياه الأمريكية ؛ ونزلت بريطانيا لأمريكا عن بعض القواعد الحربية الهامة في بعض أملاكها الأمريكية في مياه الأطلنطي الغربية ؛ ونزلت أمريكا من جانبها لبريطانيا عن خمسين مدمرة كاملة العدة ؛ فقدمت بذلك أعظم عون للأسطول البريطاني على القيام بالمهام الخطيرة التي يضطلع بها .

وقع ذلك كله قبل انتخابات الرياسة الأمريكية ؛ وكان يخشى أن تتأثر هذه السياسة الحازمة في تأييد بريطانيا بمنافسات الرياسة ؛ ولكن الرئيس روزفلت ما لبث أن خرج من هذه المعركة ظافراً بالرياسة للمرة الثالثة ، في أوائل نوفمبر الماضي ؛ فكان ذلك ظفراً للسياسة التي اختطها من مقاومة العدوان الفاشستي ، ومناصرة الديمقراطية ، وتوطيداً لها ، وكان ذلك خير رد على الميثاق الثلاثي الذى سعت ألمانيا وإيطاليا إلى عقده مع اليابان ، قبل ذلك بأسابيع قلائل ، وفيه تزعم ألمانيا وإيطاليا لنفسيهما الحق في وضع نظام جديد لأوربا ، وتعترفان لليابان بالحق في وضع نظام جديد للشرق الأقصى ؛ وتتعهد اليابان نظير ذلك بالدخول في الحرب إلى جانب دولتي المحور إذا دخلت فيها أمريكا إلى جانب انكلترا ؛ وكانت ألمانيا ترمي بذلك إلى إرهاب أمريكا وتثبيط همتها في معاونة انكلترا ؛ فجاء انتخاب الرئيس روزفلت بالعكس دليلاً على أن أمريكا لا يثنيها عن ذلك أي وعيد أو تهديد .

وقد كان لذلك بالطبع أثره الواضح في ازدياد المعاونة الأمريكية لبريطانيا ، وتدفق السلاح والذخائر والمواد الحربية إليها ؛ وكان من جراء ذلك أن لجأت ألمانيا ، بعد التهديد المقنع ، إلى التهديد المباشر ، وصرح الناطقون بلسانها بأن مضي أمريكا في معاونة انكلترا على هذا النحو يعد موقفاً وقحاً ، وإن ألمانيا لا تستطيع أن تصبر على ذلك إلى ما لا نهاية ؛ وتلا ذلك أن هددت الصحف الألمانية وهي لا تنطق إلا بوحي حكومتها ، بأن الأوامر ستصدر بإغراق كل سفينة تأتي بالامداد الأمريكية عن طريق المياه الارلندية .

وقد رأينا رد الرئيس روزفلت في رسالته على ذلك كله . فقد بسط بمنتهى الشجاعة والصراحة موقف الولايات المتحدة ، وأكد عزمها الذي لا يتزعزع على مقاومة العدوان الألماني إلى النهاية ، ومؤازرة بريطانيا العظمى بكل ما وسعت باعتبارها خط الدفاع الأول عن أمريكا ذاتها . هذا إلى أنه لا لوم ولا تثريب على أمريكا في موقفها ، فهي لا تفعل في معاونة بريطانيا بمواردها إلا كما تفعل روسيا والسويد وغيرهما في إمداد ألمانيا ببعض المواد الحربية التي تستهلكها .

* * *

على أن أهم ما يلفت النظر في هذه الرسالة التاريخية ، هو تصريح الرئيس روزفلت بأن الولايات المتحدة لا ترى

إزاء التهديد الفاشستي وجهاً لأن يشجع حديث الصلح ، وبأنه يعتقد بناء على أحدث المعلومات وأصحها أن دولتي المحور لن تنتصرا في الحرب .

وأما عن حديث الصلح ، فقد أغلق الرئيس روزفلت باباً كانت دولتا المحور تحاولان أن تلجآ إليه كلما لاحت لها بارقة أمل في إنهاء الحرب لصلحتهما قبل أن تبلغ بريطانيا مرتبة التفوق في القوى ؛ وقد بذلت أمريكا قبل نشوب الحرب وبعد نشوبها جهوداً عديدة لتسوية أسباب النزاع التي دفع بأوربا إلى الهاوية ، وكانت انكلترا وفرنسا واقفتين على استعداد للدخول في أية تسوية معقولة ؛ ولكن ألمانيا وإيطاليا وقفتا في وجه كل محاولة سلمية ، وأبتا إلا أن تلجآ إلى حكم القوة . وربما أراد الرئيس روزفلت أن يشير في تصريحه إلى بعض المحاولات التي بذلتها دولتا المحور أخيراً في هذا السبيل عن طريق بعض الدوائر المحايدة ، مثل الفاتيكان وغيره ، ولم تلق سوى الإعراض من جانب بريطانيا .

وأما نبوءة الرئيس روزفلت عن مصير الحرب ، فهي بلا ريب تصريح ذو شأن ؛ ومن المحقق أن كثيرين يشاطرون الرئيس اعتقاده ؛ وفي تطورات الحرب منذ أغسطس الماضي ما يشجع على هذا الاعتقاد ؛ فقد وقفت موجة الظفر الألماني في فرنسا عند شواطىء المانش ، وفشلت مشاريع هتلر في غزو انكلترا ؛ وانكشفت قوى الفاشستية في ألبانيا ، وفي الصحراء الغربية ، وكسبت بريطانيا معركة الامبراطورية في الشرق الأدنى ؛ واضطربت خطط المحور في البلقان وأوربا من جراء هذا التطور الفجائي ، واعتبرت فرنسا من جانبها بهذا التطور فازدادت مقاومة للضغط الألماني ، وازدادت إباء لمطالب هتلر وشريكه المهزوم . هذا من ناحية تطور الحوادث الظاهرة ؛ بيد أن هناك ناحية أخرى لها قيمتها ؛ فنحن نعرف أن أمريكا ما زالت تحتفظ بممثليها في ألمانيا والبلاد المحتلة ، وأن الرئيس روزفلت قد أوفد من جهة أخرى بعض الثقات من البحريين الخبراء لتتبع جهود انكلترا الدفاعية في البر والبحر والجو ؛ ولا بد أن الرئيس روزفلت استأنس في تكوين اعتقاده بتقارير هؤلاء الممثلين والخبراء ، عن أحوال الفريقين المتحاربين .

لقد وعد هتلر جنوده في الرسالة التي وجهها إليهم بمناسبة العام الجديد بأنهم سيحرزون في سنة ١٩٤١ نصراً يفوق نصرهم في العام الماضي ؛ وهتلر يكرر لجيشه وللشعب الألماني مثل هذا الوعد منذ أشهر ؛ وإذا كان ثمة في هذا الوعد من جديد فهو أن هتلر يشكو من أن العالم كله متحالف عليه ؛ بيد أن الوعد شيء ، والتنفيذ شيء آخر . وقد كانت لدى هتلر فرصة للعمل منذ يونيه الماضي ؛ ولعله كان قد أعد كل شيء لتابعة انتصاره الساحق على فرنسا ، لتحطيم بريطانيا العظمى ؛ ولكن وقفة سلاح الطيران البريطاني في شهري أغسطس وسبتمبر في وجه الحملات الجوية الألمانية ، وضعت حداً لسيره الظافر ، وغيرت سير الحوادث في الغرب ؛ ومن ذلك الحين تتضاءل احتمالات الغزو الحقيقي لبريطانيا شيئاً فشيئاً ، وتزداد قوى بريطانيا الدفاعية ، وتبدو مناعة الجزيرة في أروع صورها .

ولا زال هتلر حيث وقف جيشه في يونيه الماضي على أطلال فرنسا المهزومة يلمس السبيل لتحطيم الصخرة البريطانية ، ولا يجد أمامه حتى اليوم من وسيلة لمهاجمتها سوى الغارات الجوية المخربة ، والقرصنة في عرض البحار . ولكن تخريب المدن ، وقتل المدنيين ، وإغراق السفن التجارية لا تكسب حرباً ، ولا تنهيها ؛ وما زال على هتلر أن يجد لنفسه طريق النصر الذي عجز عن تحقيقه ، وهو طريق تزداد وعورته يوماً بعد يوم .

(***)

استعطاف

يا عروس الشعر هذا — شاعر جئت معينه
شــارد اللب معنّى — واجف القلب حزينه
في غيابات الليــالي — طالما ثارت شجونه
ومحته من ساهرٍ لم — تطعم الغمض جفونه
ما على الليل إذا انجا — بت عن البدر دجونه؟
ما على البــدر إذا لا — ح من الغيم جبينه؟
ما على الغيم إذا فا — ضت على الروض عيونه
ما على الروض إذا ارتا — حت على النهر غصونه؟
ما يضـــير النهر لو تر — سو على الشط سفينه؟
آه يا وحي يراعي — أي عهـــد لا أخونه
ألهمني الشـــعر إني — بين عيني أصونه
وإذا ســـال دموعاً — فهو لا تحصى فنونه
تســـحر الناس أغانيـ — ـه وتشجيهم رنينه
والذي قد ذاب وجداً — يرجف الكون أنينه
يا عروس الشعر عودا — ه فقد حان حنينه

(القاهرة) — محمد علي مخلوف

نزعتـــــان

للأستاذ زكى نجيب محمود

لقد تعجب أشد العجب لهذين الصديقين، يتلازمان حتى لا يكادا يفترقان فى غدو أو رواح، فإذا ما اجتمعا للنقاش رأيت فيهما نقيضين لا يجتمعان؛ ولطالما سعيت إلى مجلس هذين الصديقين أستمتع بما يدور بينهما من حوار، يحنق أحياناً ويضحك أحياناً، ولكنهما فيه طرفا نقيض على كل حال؛ ولست أذكر أنى جالستهما مرة دون أن يرد إلى خاطرى هذا التقسيم الذى اقترحه وليم جيمس، والذى يقسم الناس شطرين، يطلق على أحدهما «أصحاب العقول الحساسة»، ويطلق على الآخر «أصحاب العقول الجافة»؛ ويضع فى الفريق الأول المثاليين والمتدينين والموحدين والمتفائلين والقائلين بحرية الإرادة عند الإنسان؛ كما ينظم فى الفريق الثانى الماديين والملحدين والمتشككين والقائلين بالجبر فى إرادة الإنسان والذين يعتمدون فى الرأى على التجربة والحواس.

جلس الصديقان ذات مساء يتحدثان حديثاً حافلاً شاملاً، كأنما أراد كل منهما أن يبسط نفسه بسطاً فلا يخفى من مكنونها شيئاً:

— سبحانك اللهم ربى، قد خلقت هذا الوجود فسويت، فكأنى بهذى الكائنات أنغام من لحن متسق جميل، كل شىء فى الكون يجاوب كل شىء؛ انظر إلى غريزة الأمومة عند الحيوان تزداد شدة ورسوخاً كلما ازداد النسل ضعفاً، وهى تزداد فتوراً كلما كان الصغار أقوى على احتمال الحياة بغير حنان الأمومة؛ وانظر إلى هذه الزهرات التى لا تخصب إلا إذا وجدت ما ينقل اللقاح من ذكرها إلى أنثاها، فقد بدت أروع ما يكون الزهر جمالاً فى أعين النحل، فينجذب مشوقاً إليها، ينتقل فرحاً مرحاً من زهرة إلى زهرة، فينتقل معه اللقاح المخصب من الذكر إلى الأنثى وهو لا يدرى؛ ثم انظر إلى هذا الذى يرويه هيرودوت من أن الحيوان الخطر — كالأفاعى — لا ينسل إلا قليلاً وفى عسر شديد، لأن خطرها وحده كفيل ببقاء هذا النسل القليل؛ أما الحيوان الذى يقع فريسة لغيره، لعجزه عن الدفاع ولأنه يصلح أن يكون طعاماً — كالأرانب — فقد مُكِّن له من النسل اليسير الكثير ليضمن البقاء بكثرة الأبناء... تلك وأشباهها — عندى — آيات بينات على ما فى الكون من تدبير محكم.

— وهى عندى أدلة ناهضات على أن الطبيعة قد قست حتى أسرفت؛ مثلها فى ذلك كرجل أراد أن يصيد أرنباً فى مزرعة، فأشعل الزرعة على أنوف الأرانب وجمع آلاف البنادق، وأخذ يصب ناره صباً حامياً ليظفر بالأرنب التى يريدها، أو كرجل أراد لنفسه بيتاً يسكنه، فابتنى مدينة بأسرها، سكن منها منزلاً وخلّف باقيها للدمار؛ إن هذه الطبيعة يا صاحبى تهلك شيئاً لتبقى على شىء؛ إنها تفنى أمة لتبقى على أمة، وتقتل فرداً لتمهد الحياة لفرد؛ إنها تتلف زرع الزارع لتغذى الطير، وتفتك بحيوان ليحيا بلحمه حيوان.

— أرسل بصرك يا أخى إلى الأفق وانظر إلى هذا الجمال الفتان: أنظر إلى الشفق وقد خضب السماء، وإلى الأشجار الباسقة وقد انتثرت فى نظام بديع، ثم إلى...

— صه! ماذا أسمع؟ إن طائراً يصيح فى هذه الأشجار

نفسها صيحة الفزع ، فظل طيراً جارحاً قد هتك به ليطعم .

— أفهم ما تريد ، ولولا أننا في صدر الربيع ، حيث الأرض قد لبست زخرفها وازينت في أعين الناظرين ، فانتعش بين أحنائها الأمل والرجاء ، لعذرتك في هذه النظرة السوداء ؛ إن كل ما حولنا ناطق بنشوة الحياة وجمالها ، وهذه الزهور اليانعة وحدها لخليقة أن تسلكك في لحن الوجود ، ولكن . . .

— نعم ، كانت هذه الزهور كفيلة بهذا ، لولا أنني رأيت في طريقي إليك صبياً يبيعها ، وكان الصبي عارياً جائعاً لا يرحمه الراحمون ، فقلت لنفسي : أيكون في الدنيا جمال وبين دفتيها مثل هذا البائس المسكين ؟ !

واتجهت أنظار الصديقين إليّ كأنما يستطلعان رأيي ، فقلت : ليس لي معكما رأي ، غير أني آمنت أن المنطق هراء في هراء ؛ إن تفكير الانسان يمتزج بمزاجه ، وإذا اعتدل هذا اعتدل منه ذلك ، وإن مال مال ؛ فلا مناص من أن نرى أنماط الناس المختلفة أنماطاً مختلفة من التفكير ، ولا سبيل إلى وحدة الرأي إلا إن اتحد المزاج ، وهذا محال ؛ فحسبك أن تعلم عن شخص ما مزاجه لتعلم كيف يفكر ؛ إن الدنيا لتعرض حقائقها أمام أبصارنا ، فينظر كل منا إلى هذه البضاعة المعروضة من ناحية تتفق ومزاجه ، والعجيب أن كلا واجدٌ منها ما يؤيد وجهة نظره ، ذلك لأن ميل الانسان يمسك زمام انتباهه فيوجهه الوجهة التي يريد ، فيرى المتفائل من الظواهر جانباً ، ويرى المتشائم منها جانباً آخر ، ومن مجموعة ما يرى الانسان ينشأ مذهبه .

فقال صاحب العقل الحساس لصاحب العقل الحاد — على حد تعبير وليم جيمس :

— لست أشك في هذا الذي يقوله فلان ، فلن يصلح أمرك إلا إن طرحت المنطق الصارم جانباً ، وبدلت من مزاج نفسك لتصبح قادراً على فهم الوجود فهماً صحيحاً ؛ إنك لن تبلغ حقائق الوجود العليا إلا إن أقبلت عليها إقبالاً على غير هذا النحو التحليلي الذي تنتهجه ، أما إن أصررت على تشريحه بمبضع العقل الجاف فلن تصل منه إلا إلى مادة باردة لا حرارة فيها ولا حياة ؛ وإن أردت لنفسك الخير فاصطنع في ذلك أسلوب المتصوفين .

— وما ذاك ؟

— ألا تعتمد في فهم الدنيا على عقلك وحواسك ، لأن حقائق الدنيا فوق العقل والحواس ؛ إن التصوف يشترط مزاجاً خاصاً بغيره لا يمكن الفهم ، ولا يجدي كثيراً أو قليلاً عما عند الباحث من علم ومعرفة .

— إن كانت حقائق دنياكم فوق مقدور الحواس والعقل ، فهي عندي ليست جديرة بمشقة البحث والفهم ، فإني أعرض كل شيء أمام محكمة العقل ، فإن استطاع أن يبسط نفسه بسطاً واضحاً فذلك علم صحيح ، وإلا فهو خرافة مشوهة لا أقيم لها وزناً ولا قدراً ؛ إن هؤلاء الذين يفرون من حكم العقل ليحتموا وراء الايمان هم طبقة دنيا من المفكرين ، هم أصحاب عقول عاجزة لا تملك لنفسها دفاعاً من هجمات أصحاب العقول المنطقية الراجحة ، إن التقوا بهم في معترك مكشوف ؛ هم فئة حرموا القدرة العقلية القوية فتراجعوا قائلين إنه حصرم ، وإن حقائق الحياة العليا : الله والنفس وطبيعة الوجود لا يمكن فهمها بالعقل مهما بلغت قدرته .

— قل ما شئت ، وحسبي أن العقل الصرف لم ينتج على مر الزمن إلا فلسفات متضاربة ، ولو ركن هؤلاء الأفذاذ إلى البصيرة لكان شأنهم غير هذا الشأن .

***

ثم استطرد الصديقان يتجادلان في شتى نواحي

الفكر ؛ فصاحب العقل الحساس لا يتصور أن يكون الكون مادة تخلو من الروح ، بل الكون عنده نفس كبرى كهذه النفس الانسانية الصغرى ؛ إنه لا يطيق أن يكون الانسان دابة على الأرض لا تربطها بأطراف الوجود أقوى الوشائج ، فذلك في رأيه يؤدي به إلى عزلة روحية لا يحتملها ؛ وأما صاحب العقل الجاف فلا يريد أن يرى في الكون إلا ما تدل عليه الحواس : مادة صماء ، وما هذه الحياة الانسانية في هذا الخضم الزاخر من المادة إلا فقاعة ناشئة عابرة ، هي ظاهرة كهذه الظواهر الكثيرة لا أكثر ولا أقل .

وصاحب العقل الحساس يرى في الإنسان كائنا حر الارادة ، عقله يقول وهو ينفذ ، ولو لم يكن كذلك ما كانت له قيمته بين سائر الكائنات ، وأما ذو العقل الجاف فن رأيه أن الإنسان لا يملك الاملاء ؛ إن الرغبة في شيء ما ، تلك الرغبة التي فطرت في ... ، هي التي تريد ، والعقل أداة تدبر الطريق الذي يوصل إلى ما ... تنشدها الارادة .

يرى العقل الحساس أن الفكرة إذا امتزجت بالعاطفة وأصبحت شعراً ، زاد ذلك من قدرها ، وأما زميله فقنعه أن العاطفة تقلل من شأنها ، وخير للفكرة أن تصب في قالب واضح ولفظ مستقيم كالذي تصطنعه العلوم .

* * *

للصديقين نزعتان مختلفتان في كل شيء ، وإلى هاتين النزعتين ينقسم الناس جميعاً ، فئة تحس نبض الحياة وأخرى لا تبصر حولها غير الموت ؛ فئة يلفت نظرها ما بين الكائنات من أوجه شبه فتوحد الوجود وتوحد خالق الوجود ، وأخرى يلفت نظرها ما بين الكائنات من أوجه خلاف فتحلل الوجود في المعامل ، فإذا به ذرات كثيرات تكاد تخلو من النفس ؛ النزعة الأولى هي نزعة الفن والأدب وما إليهما ، والثانية نزعة العلوم ؛ الأولى تتمثل في أفلاطون الذي انتابهت في عينه الموجودات فطواها تحت تاج من المُثُل ؛ والثانية يصورها أرسطو الذي حلل كل شيء ، ونظر إلى الأفراد على أنها حقائق في ذواتها تستحق البحث والنظر .

النزعة الأولى تسود الفكر الألماني ، فالوجود على وجه العموم هو الكل والأجزاء لاشيء ، ومن ذلك اشتقوا نظريتهم في الدولة : الدولة هي الكل والأفراد لاشيء ؛ والنزعة الثانية تسود التفكير الانجليزي ، فلابد في هذا التفكير من التحليل ، بدأ بيكون وعقبه لوك ، وعقبه الآن رسل ، فالأجزاء كل شيء ، والكل ليس إلا مجموعة أجزائه ، ومن هنا استمدوا رأيهم في الدولة : الأفراد كل شيء ، والدولة مجموعهم .

ومنذ بدء هذا الحوار الجميل معتوراً متدبراً ، ... الرأى هو في صميمه اختلاف بينهما في ... ومن العبث أن يطلب إلى أحدهما أن يفكر على غرار أخيه إلا إذا جاز أن يطلب إلى لابس المنظار الأزرق أن يرى الدنيا كما يراها لابس منظار أحمر ؛ فأخذت على نفسي منذ ذلك الحين أن يكون التسامح مبدئي الأول في الأخلاق .

زكي نجيب محمود

المقاومة الشعبية

عند قدوم نابليون إلى مصر

للأستاذ أحمد غاكي

يبدأ تاريخ مصر الحديث من اليوم الأول الذي وطئ فيه نابليون أرض بلادنا المقدسة . فقد بدأت مصر الحديثة منذ ذلك اليوم أن تستيقظ ، بعد أن مضت عليها حقبة من الزمن استسلمت فيها للدعة والاطمئنان ، وقد بدأت علاقاتها مع الدول الأوربية تتوثق ، وبدأت الدول الأوربية من ناحيتها تنظر إلى مصر نظرة المرشد الناصح حيناً ، والطامع المتعنت أحياناً . ولكن لعل أشد ما يميز تاريخ الأمم الحديثة هو ذلك الشعور القومي الذي طاف بها منذ بداية القرن التاسع عشر . وقد تنبه الشعور القومي عند الأمم الحديثة بسبب ثورتها على نابليون ومقاومته : تنبه ذلك الشعور في ألمانيا وفي إسبانيا وفي إيطاليا ، لأن هذه الأمم جميعاً ثارت على نابليون ، ولأن المقاومة التي اصطنعتها كل الفضل في تكوينها القومي ؛ والمقاومة في كل أمة هي التي تبعث الشعور الأول الذي يميز المبدأ القومي .

فهل نلقى حين نبحث تاريخنا الحديث مثل ذلك الشعور القومي الذي ميز حياة الشعوب الأوربية في القرن التاسع عشر ؟ أفليس يحق لنا أن ننظر إلى تاريخ مصر منذ الفتح الفرنسي إلى الآن كوحدة عامة نمت فيها القومية المصرية ، حتى بلغت عنفوانها في القرن العشرين ؟ أجل ! إن لنا أن ننظر تلك النظرة العامة ، ولكن ينبغي ألا نسرف كثيراً في تقدير شعورنا القومي عند الحملة الفرنسية ؛ ذلك بأن الممالك الأوربية الأخرى التي قاومت نابليون ، كانت قد بلغت درجة كبيرة من التقدم ، فهي قد أفادت من شعور المقاومة الذي طاف بأفرادها ، وقام من بينهم زعماء تبنوا حقوق الشعب . وكان أفراد هذه القوميات قد نالوا قسطاً عظيماً من الثروة والعلم ، فتمثلت مقاومتهم لنابليون في حركات شعبية عامة . لكن مصر كان ينقصها كثير من العلم والمال ، فلذلك لم تكن المقاومة الشعبية للحملة الفرنسية ظاهرة كل الظهور ، ولم تنتج ما أنتجته الحركات الأخرى من وضع أسس دستورية ، أو جهاد في سبيل إصلاح النواحي العامة .

حينما أغارت الحملة الفرنسية كانت القوى موزعة في مصر بين ثلاث ، فكانت القوة الأولى عسكرية ، في أيدي البكوات المماليك الذين ورثوها عن فئات منهم ، وانتقلت بين أيديهم من جيل إلى جيل . كان هؤلاء موكلين بأمر القطاع من مصر ، لكنهم كانوا يعتمدون على نظم القطاع القديمة ، وكان غاية ما يحسنونه أساليب الفروسية من كر وفر وغير ذلك . ثم كانت هنالك قوة ثانية ، هي قوة البدو الذين سكنوا الصحراوين الشرقية والغربية وكثيراً من أنحاء الصعيد . وكان بين هؤلاء البدو عصبية تجمع بينهم ، وتخلق منهم قوة عنيفة إذا أحسن القيام عليها . ثم كانت هنالك قوة ثالثة خفية في الشعب المصري نفسه ، وهي خليط منعقد من عقيدة الشعب الدينية ومن شعوره بأن هؤلاء المغيرين كانوا أجانب يجب أن يدفع بالإثم

تلك هي القوى الثلاث التي التقت بها الحملة الفرنسية حينما أغارت على مصر . ولكن لم كانت المقاومة في مصر

ضعيفة واهنة ؟ ولم استطاع نابليون أن يقضي عليها في قليل من الزمن ؟ كانت هذه القوى متوزعة ، ولم تشكل في البلاد حكومة تستطيع أن تنسق تلك القوى الثلاث ، بل لم يكن في مصر جيش قائم مدرب على أمور الدفاع ؛ وكان زعماء المماليك يجهلون كثيراً من نظم الحرب الحديثة ، وكانت بينهم حزازات لم يستطيعوا أن يتناسوها في ساعة الخطر المحدق . وكان الجيش الفرنسي ثلاثين ألفاً أو يزيد ، وكلهم جنود خبروا الحرب ، وذاقوا حلاوة النصر ، وكان نابليون نفسه على رأس هذا الجيش واتبع خططاً حربية حديثة كفلت له النصر السريع . لذلك أخفقت المقاومة العسكرية التي تزعمها المماليك ، والتي ساعدهم فيها جنود الصحراء . وكان أشد فشل مُنيت به تلك المقاومة في واقعتين : أولاهما شبراخيت في ١٣ يوليه سنة ١٧٩٨ ، وثانيتهما في امبابة في ٢١ يوليه سنة ١٧٩٨ .

لم يكن هنالك جيش قائم من المصريين ، بل كان أمر الدفاع موكولا إلى هؤلاء المماليك ، هذا على أن آلافاً من المصريين اشتركوا فعلاً في ذلك الدفاع وانخرطوا بين صفوف المماليك . لكن قوة المصريين كجماعة بدأت تظهر جلية واضحة في الأشهر القليلة التي تلت دخول الحملة الفرنسية . وكأنما كان المصريون في سبات عميق فأيقظتهم أحداث الحملة ؛ كان المماليك قبل ذلك يمثلون القوة السياسية المشئومة ، لكن المصريين كانوا راضين بحكم المماليك على ما كان ينطوي عليه من ضعف ، لأنه كان لذلك الحكم تقاليد انحدرت في الحياة المصرية من جيل إلى جيل . أولئك المصريون انتبهوا حين رأوا أن هذه السلطة السياسية قد انتقلت إلى أجانب لا تجمعهم بالمصريين صلة من الدين أو العادة أو العرف . لذلك لم يذعن المصريون مطلقاً للحكومة الفرنسية الجديدة ، على الرغم من أن هذه الحكومة حاولت أن تستهويهم وتستعطفهم بمختلف الوعود ، بل وحاولت أن تصلح من شأنهم وأن تدفعهم إلى التقدم في كثير من نواحي الحياة .

كان نابليون يريد أن يجتذب الشعب المصري إليه ، فكان أول ما عمل عند قدومه إلى مصر أن أذاع منشوره المعروف . وفيه نعى على المماليك أنهم أفسدوا في مصر ، وفيه يكاد يدعي أنه مسلم ، وفيه يتملق الوطنية المصرية . لكن أهم ما فيه أنه وعد بإقامة حكومة أهلية يدير شؤونها العلماء والفضلاء . وإقامة حكومة أهلية كان شيئاً لم يسمع به المصريون من قبل ، ولعلهم لم يكونوا يعرفون كيف تكون الحكومة أهلية . ولكن لم يكن نابليون كريماً صادقاً في بذل تلك الوعود ، فلم يكن يريد من كل ذلك إلا أن تستقر الحال في مصر . فهو لم يكن يرمي من وراء هذه الحكومة الجديدة إلا إلى اتخاذها واسطة بينه وبين الشعب حتى يستطيع أن يحصل على الضرائب التي [illegible] الشعب أوامره حين يوافق عليها [illegible] . وقد كان نابليون يظن أنه سوف يكسب عطف المصريين حين يقيم حكومته على أساس شبه دستوري ، لكن الشعب المصري لم ينصرف عن سوء الظن بالأجنبي . بل لقد كان الشعور الاجتماعي حياً متيقظاً ، حتى أصبحت العلاقة بين المصريين والفرنسيين سلسلة من القلق والمقاومات والثورات .

أقام نابليون حكومته الجديدة ، محاولاً أن يشرك بعض شيوخ الأزهر وعلمائه في الحكم ، فابتكر نظام الديوان . وهذا في نفسه اعتراف بقوة الشعب المصري الناشيء . ولكن هذا الشعب المصري لم يكن حينئذ يشعر بقوته تمام الشعور ، لأن العلم والمال كانا ينقصانه . لذلك لم يستطع هؤلاء العلماء أن يستفيدوا من موقفهم هذا . كان يشعر الشعب بذلك الضيق أو الهوان الذي علق النفس ، إذا كُلفت أو أُهينت أو اعتدي عليها .

وما لبث هذا السخط أن انقلب إلى ثورة بعد ثلاثة شهور من وجود الفرنسيين . وكان يوم ٢١ أكتوبر سنة ١٧٩٨ يوما مشهوداً في القاهرة ، لأنه اليوم الذي ثار فيه المصريون على الفرنسيين ، ولأن قوة الشعب الخفية التي انكشفت في ٢٠ يوليه ، لم تزل تحاول أن تجد لنفسها مخرجاً حتى انفجرت في ٢١ أكتوبر ، وبين التاريخين حدثت أحداث كان من شأنها أن تثير المصريين ، ولنبحث قليلاً في تلك العوامل التي أدت إلى هذه الثورة.

أما أول هذه العوامل فهو عامل اقتصادي . وقد تحطم الأسطول الفرنسي في واقعة أبي قير البحرية في أول أغسطس سنة ١٧٩٨ ، وشعر الفرنسيون أنهم لا بد أن يستغلوا موارد مصر استغلالاً كاملاً لأن الصلة انقطعت بينهم وبين فرنسا ، لذلك لجأوا إلى فرض الضرائب حتى أرهقوا الأهالي إرهاقاً لا حد له . فقد طلبوا قروضاً من تجار يبلغ مجموعها ... ، ووضعوا قروضاً إجبارية خاصة يؤديها أصحاب ... المهن . واشتطوا كثيراً في ... من الإتاوات وأساءوا معاملة زوجاتهم ، حتى أخذوا من زوجة مراد بك وحدها ٦٠٠ ألف فرنك . وأسرعوا في قتل الذين خالفوهم من مماليك وعرب ومصريين .

ثم إن الفرنسيين حاولوا أن يصلحوا كثيراً من أبنية القاهرة حتى توافق أساليبهم في الدفاع والهجوم . فقد كانت القاهرة تضيق شوارعها وأزقتها ، وكان على كل حارة باب يحتمي الناس وراءه . وقد خشي الفرنسيون أن تساعد تلك الأبواب على العصيان فهدموا بعضها . فأثار ذلك شبهات العامة . لكن العامة أحرجوا كثيراً حين دخل الفرنسيون في شئونهم ، إذ لم يحاول أحد من قبل أن يلزمهم بتغيير عاداتهم الخاصة . ثم إنهم كانوا يرون في تلك الحارات معتصماً وأمناً . زد على ذلك أن الفرنسيين في نفس الوقت كانوا يحصنون القلعة فحسب الناس أنهم مقبلون على أمر جليل وفقدوا الأمن والراحة والطمأنينة .

على أنه إلى جانب تلك العوامل كان هناك عامل اجتماعي آخر ، هو ذلك الاختلاف في الأمزجة والعادات بين الفرنسيين والمصريين . وظهر اختلاف العادات بين الفريقين في الفترات القليلة التي كانوا يختلطون فيها ؛ وقد حاول نابليون أن يقيم حفلات في مهرجان النيل ، والمولد النبوي ، وتعيين أمير الحج ، وعيد الجمهورية الفرنسية ، حاول نابليون أن يقيم هذه الحفلات ليجذب إليه الشعب المصري ، لكن الشعب المصري كان محافظاً ، فساءه ما كان يظهره الفرنسيون في تلك الحفلات من إسراف في طلب السرور ومن تهتك النساء في أحيان . فلم يستسغ المصريون مثل تلك الحفلات حتى لقد كان رفض جمهورهم أن يشتركوا فيها .

... نحلل هذه العوامل التي ظهرت الثورة في ٢١ أكتوبر سنة ١٧٩٨ ، واجتمعت لجنة من الثوار في الجامع الأزهر ، وليس من شأننا أن نصف ما حدث في ذلك اليوم العصيب ؛ ولكن حسبنا أن نقول إن تلك الثورة أظهرت فئتين من الزعماء ، كان لهم أكبر الأثر في الحوادث التي حدثت في مصر في السنين السبع التي بدأت بقدوم نابليون وانتهت بولاية محمد علي . أما الفئة الأولى فهي فئة شيوخ الأزهر وعلمائه ، وكانوا أكثر المصريين علماً ومالاً . وقد أجلسهم نابليون مجلس الزعماء حين اختار بعضهم أعضاء في الديوان . أما الفئة الثانية فقد كانت فئة زعماء الرعاع ، وأولئك قوم من أولاد البلد لم يؤتوا إلا قليلاً من العلم ، لكنهم كانوا يسيطرون على الرعاع والدهماء . والملحوظ في الثورات دائماً هذين العنصرين : نلحظ قادة مستنيرين إلى جانب آخرين غير مستنيرين ؛ وزعماء الرعاع هم الذين يظهرون في أول الأمر فيقودون العامة إلى التدمير

تغذية الفلاح وعلاقتها بالديدان الطفيلية التي تصيبه

للدكتور محمد خليل عبد الخالق بك

استرعت حالة الأطفال في معاهد التعليم المختلفة انتباه الرأي العام المصري لما نشر عن حالتهم الصحية، وسوء تغذيتهم وهزالهم، حتى قامت بعض الهيئات بتنظيم الحفلات لجمع التبرعات وصرفها في تغذية هؤلاء الأطفال، ولم تلبث هذه الحركة أن تلاشت كالكثير غيرها في مصر.

وهذه الحالة السيئة من جهة التغذية ليست مقصورة على أطفال الفلاحين، فالكبار أيضاً في كثير من جهات مصر تظهر عليهم علامات نقص التغذية، ولا يسلم العمال المصريون وأطفالهم من ذلك أيضاً.

ومسألة التغذية مسألة معقدة لها وجوه [illegible]، أولها وجهة اقتصادية تتعلق بمقدار [illegible] هذا الكسب أو عدم كفايته لسد مطالب الحياة، خصوصاً للعائلات الكبيرة العدد. وهي تتأثر بمقدار ما يصرف من الدخل على التغذية. وكثيراً ما يصرف معظم الدخل على حفظ المظهر الخارجي للأفراد على حساب ما يلزم لتغذيتهم. والتغذية تتأثر أيضاً بحسن أو سوء الاختيار لمواد الغذاء. فالكثيرون ينقصهم معرفة أرخص المواد الغذائية ثمناً مع أفضليتها لسد حاجات الجسم.

كل هذه وغيرها أمور لها أهمية كبيرة في حالة الشعب الغذائية. أضف إلى ذلك قلة المعلومات التي يمكن الاعتماد عليها في تقدير القيمة الغذائية لمختلف الأطعمة الشعبية في مصر. ومن حسن الحظ أنه بدئ أخيراً في دراسة هذه الموضوعات [illegible]. والآن سوف لا أتعرض لهذه الوجوه [illegible] التغذية، وسأقصر كلامي فقط على أثر [illegible] الديدان الطفيلية الكثيرة عدواها في مصر على تغذية الشعب المصري.

والتخريب، ثم يظهر المصلحون أخيراً حين تهدأ الثورة. ولقد حدث ذلك في سنة ١٧٩٨ وما بعدها. فقد بدأت هذه الثورة بالتدمير والتخريب، وكان يقودها رجال من أبناء البلد لهم عزة وكرامة. لكن هذه الثورة خمدت وما لبثت أن تحمست تحت زعامة العقلاء حين تولاها السيد عمر مكرم بعد خروج الفرنسيين من مصر.

وكذلك بدأت الحملة الفرنسية والمقاومة الشعبية لا تكاد تكون شيئاً مذكوراً في حياة مصر السياسية. ولكن لم تمض عليها شهور ثلاثة حتى أصبحت هذه المقاومة كل ما يهتم له نابليون وجيشه. ولا شك في أن إخماد الثورة كان قاسياً، لكن الثورة أظهرت الفرنسيين والمصريين في موقفهما الحقيقي. فقد ألغى نابليون الديوان، وأغلظ القول لأعضائه، ودخل الأزهر بجيوشه، وتخلى المصريون عن ذلك الشك الذي كان يخالجهم، فكان العداء بينهم وبين الفرنسيين صريحاً.

فنذكر إذاً أن مصر قد تحرك فيها شعور المقاومة الشعبية عندما غزاها نابليون. ولنذكر أن هذا الشعور لم يكن قومياً أو وطنياً بالمعنى الذي نفهمه الآن، ولكن لقد كان شعوراً اجتماعياً بآلام الظلم ويشعر بالهوان. وقد كان هذا الشعور مقدمة لحياة قومية عرف فيها الشعب نفسه، لكنها لم تبلغ عنفوانها إلا بعد قرن أو يزيد.

[illegible] أحمد [illegible]

وعلاقة عدوى الطفيليات بالتغذية قد عرفت من زمان بعيد؛ فقد ذكر ابن سينا في كتابه القانون في الطب منذ تسعة قرون أن المصابين بالدودة الوحيدة يشكون دائماً من جوع كلبي، فهم يقبلون على الطعام بشهية كبيرة، ويستوعبون منه مقداراً كبيراً، وذلك غير مقصور على عدوى الدودة الوحيدة، فالأمهات المصريات كثيراً ما يقدمن أطفالهن للطبيب قائلات إن الطفل يأكل كثيراً، ولكن لا يظهر لهذا الأكل أثر في نمو جسمه. ويتبين عند الفحص أن الطفل يأوي الكثير من ثعابين البطن (الاسكارس) في أمعائه.

وقد تنبه قدماء المصريين لعلاقة أخرى بين الطفيليات وتغذية الفرد؛ فقد جاء في ورقة البردي الطبية الشهيرة Ebers Papyrus أن العدوى بالديدان تسبب بطئاً في نمو الجسم وتأخيراً في الوصول إلى سن البلوغ.

وما شوهد على الإنسان يشاهد أيضاً في بعض أنواع الحيوان في مصر، بل إن الحيوان أكثر إصابة منه؛ فالمواشي المصرية والأغنام والدواب تأكل كثيراً ولا يظهر أثر ذلك عليها، فهي على حال سيئة من الضعف والهزال؛ ولا غرابة في ذلك، فكثير منها يأوي في أمعائه آلافاً من الديدان التي تمتص غذاءه ولا تترك للحيوان إلا القليل مما يأكله ليمتص من الأمعاء ويستخدمه الحيوان غذاء.

ولنأخذ مثلاً ديدان الاسكارس (ثعابين البطن) فهي ديدان يبلغ طول الواحدة منها ربع متر، ويوجد منها عادة في أمعاء المصاب بضع عشرات، وقد تبلغ في حالات قليلة عدداً كبيراً؛ فهناك طفل من قليوب خرج منه بعد العلاج ٢٥٣ دودة من الاسكارس محفوظة في متحف كلية الطب. فلنتصور طفلاً يأوي ٥٠ دودة، وهذا ليس بالعدد الكبير، يأكل طعامه العادي الذي لا يكاد يهضم حتى تلتهمه هذه الديدان الواقفة للغذاء بالمرصاد. وإذا علمنا أن كل أنثى من هذه الديدان تضع في اليوم الواحد ٢٠٠٠٠٠ بويضة وهي تزود كل بويضة بمقدار من المخ لغذاء جنينها داخل البويضة حتى يبلغ أشده، وإذا علمنا أن المخ هو من أدسم مواد الغذاء وأغلاها، لأمكننا أن نتصور المقدار الكبير من الغذاء الذي تمتصه الاسكارس من أمعاء الطفل المصاب بها، وأنها لا تترك له إلا القليل لينتفع به، ولفهمنا لِمَ يأكل الطفل كثيراً ولِمَ تشكو الأمهات من أن هذا الأكل الكثير لا يظهر له أثر في نمو الطفل.

وهذا هو الحال أيضاً في الدودة الوحيدة التي تبلغ سبعة أمتار طولاً وتبلغ عقدها ألفاً كل منها كأنها حيوان مستقل من الوجهة التناسلية، تخزن العدد الكبير من البويضات، وتحتاج لكميات كبيرة من الغذاء تزود بها أجنتها، وعلى ذلك فليس هناك غرابة في أن المصابين بها يشعرون بجوع مستمر كجوع الكلاب كما ذكر ابن سينا.

ومثل هذا الحال أيضاً في عدوى ديدان الانكلستوما التي تضع [illegible] ٢٠٠٠٠ بويضة كل يوم. وتمتاز ديدان الانكلستوما عن الديدان الأخرى بإفرازها سماً يحدث فقر الدم، ويضعف مقاومة الفرد البدنية ويضعف حدة ذكائه.

أما البلهارسيا المعوية فتؤثر على التغذية بإتلافها جدار الأمعاء الغليظة فتعوق امتصاص الغذاء، وتفتح لمختلف الميكروبات طريقاً للدخول إلى الجسم.

وهذه الطفيليات المختلفة لا تنتشر بنسبة واحدة في أنحاء القطر المصري، فهي أكثر انتشاراً في الوجه البحري منها في مصر الوسطى، وهي نادرة الوجود في مصر العليا؛ أي مديريات جرجا وقنا وأسوان. وذلك يرجع إلى انتشار الري بالراحة وكثرة ترع الري وارتفاع مستوى الماء في باطن الأرض ورطوبة التربة.

ففحص سكان قرية صفط الحنا في مركز كوم حماده تبين أن ٩٦٪ منهم مصابون بعدوى الطفيليات، بينما تبين بفحص سكان قرية الساعية بمديرية أسوان

سنة ١٩٣٣ أيام ريها رياً حوضياً أن بها صفراً ٪ مصاباً بعدوى الطفيليات . ولـكن بعد إدخال الري الصيفي إليها بواسطة الطلمبات صارت عدوى البلهارسيا بها ٤٤ ٪

وانتشار عدوى الطفيليات له أثر محسوس في حالة التغذية ، ولـكن كثيراً من الباحثين قد أهملوها عند دراستهم هذا الموضوع . فمتوسط كسب الفلاح في أراضي الدلتا يفوق كثيراً ما يكسبه زميله في مديريات جرجا وقنا وأسوان ؛ وكمية الغذاء التي يتناولها الفرد في الوجه البحري أكثر وأصحى ومتنوعة إذا قورنت بما يأكله الأفراد من نفس الطبقة في المديريات الجنوبية ، وهم الذين تنتج أراضيهم محصولاً واحداً في السنة عقب فيضان النيل ، ثم تستمر جرداء معرضة للشمس المحرقة باقي العام إلى أن تغمرها مياه الفيضان في العام التالي

إن أصحاب الأملاك في هذه المديريات الجنوبية متضررون من هذه الحالة ، ويطالبون الحكومة دائماً بتحويل أرضهم من ري حياض إلى ري مستديم لزيادة دخلهم . ولـكننا إذا قارنا صحة سكان هذه الأماكن الجنوبية بصحة سكان الدلتا لوجدناهم أحسن المصريين صحة وأقوامهم عضلاً وأطولهم أعماراً ؛ فعليهم نعتمد في الأعمال الشاقة كتمهيد الطرق وإنشاء المباني الضخمة ومد الطرق الحديدية وشق الترع والمصارف حتى في أنحاء الدلتا نفسها وشحن وتفريغ السفن في الموانى ، فهو هو الصعيدى الذي يحتكر هذه الأعمال ؛ وما ذلك إلا لأن المقاولين قد وجدوا بالخبرة أنه أكثر إنتاجاً وأشد قوة من سكان الدلتا . ولو شاهدنا هؤلاء الصعايدة مجتمعين فيما يسمى التراحيل لوجدناهم يعيشون على طعام تافه يحملونه في أكياس من الخيش يكون معظمه من الخبز الجاف المصنوع من الأذرة والشعير وقليل جداً من الادام مما يجدونه في المزارع في الأماكن التي يشتغلون بها .

ومرض البلاجرا — وهو أهم مظهر لنقص التغذية في مصر — لا أثر له في مديريات الوجه القبلي الجنوبية ، ومعظم حالاته في ريف الوجه البحري ، حيث وجد في بعض القرى أن نسباً عالية من السكان مصابون به ؛ وهذا المرض يسبب طفحاً جلدياً في الأجزاء الظاهرة من الجسم التي لا تغطيها الملابس : وهي الوجه والرقبة والصدر خارج حدود الجلباب ، وكذلك اليدان عند نهاية الأكمام والقدمان ؛ وهذا الطفح يسببه الفلاح المقشف ، هذا المرض هو الذي يعتمد عليه الباحثون في تقرير نقص التغذية وتحديد مناطقها في مصر ؛ وقد وجد أن الطفيليات موجودة بكثرة في الأفراد المصابين بهذا المرض ، حتى إن بعض الباحثين قد قرر أن البلاجرا في مصر نتيجة لعدوى الطفيليات ، وأعتبر الطفيليات كسبب مباشر للمرض ؛ وأثناء الحرب الماضية تفشى مرض البلاجرا بين أسرى الأتراك في المعتقلات ولا يوجد البلاجرا في بلادهم الأصلية . وانتهى الباحثون إلى أن السبب في تفشي المرض هو عدوى الأنكلستوما التي انتشرت بين الأسرى . وقد وصل بعض الباحثين المصريين إلى أن البلاجرا في مديرية البحيرة سببها العدوى بالبلهارسيا المعوية . ولـكن المتفق عليه الآن هو أن الطفيليات تسلب الناس غذاءهم أو تعطل امتصاص الغذاء من الأمعاء فتسبب البلاجرا . فليست العبرة بكمية الغذاء التي يتناولها الشخص بل بكمية الغذاء التي تمتص نهائياً من أمعائه ويستعملها جسمه . ولا شك في أن أهالي المديريات الجنوبية يستفيدون الفائدة التامة من كل ما يأكلونه ، وعلى تفاهة غذائهم فهو كاف لاحتفاظهم بحيويتهم كاملة ؛ بينما سكان الوجه البحري تسلب الطفيليات معظم غذائهم على كثرته فتظهر عليهم علامات وأعراض نقص التغذية

وللتغلب على هذه الحالة لنا أن نختار بين طريقين :

فإما أن نزيد في غذاء الأفراد وتلاميذ المدارس حتى يمكننا أن نسد حاجة الطفيليات ويبقى ما يكفي لجسم الشخص، أو أن نطرد الطفيليات ونعمل على عدم الإصابة مستقبلا فيكفيهم غذاؤهم الحالي.

وقد اتجه الرأي إلى العلاج الأول لأنه لم ينتبه الكثيرون إلى السبب الحقيقي في نقص التغذية، وقامت تلك الحركة الكبيرة وجمع المال لإعطاء أطفال المدارس غذاء إضافيا. ولم تلبث تلك الحركة أن خمدت ويكاد أن لا يكون لها أثر الآن، بل إننا نسمع أن الظروف الاقتصادية قد قضت بتخفيف كمية الغذاء التي يتناولها الطلبة. ولا شك أن هذا العلاج ليس بالأفضل؛ فلو عالجنا هؤلاء الأطفال من هذه الديدان — وهذا سهل ميسور — لأصبحوا كما يقال عصفورين بحجر واحد، فشفيناهم من الأعراض التي تنشأ من عدوى الطفيليات، وهي مهمة خصوصاً في سن التعليم كالتأخر في نمو الجسم وبلادة التفكير وقلة الانتباه وكثرة النسيان والأنيميا! وهذه كلها تؤثر لا شك في الهبوط بمستوى التعليم، ويكون نتيجة التخلص من الطفيليات أن يصبح الغذاء الحالي كافياً في أكثر الحالات.

وفحص الفرد لعدوى الطفيليات وعلاجه منها أمر سهل ميسور، فمستشفيات البلهارسيا والانكلستوما المنتشرة في طول البلاد وعرضها تعمل ذلك بدون أجر، وفحص البول والبراز ميكروسكوبياً في أي معمل للتحاليل كفيل بمعرفة ما هناك من الديدان الطفيلية. ويجدر بوزارة المعارف أن تعمم نظام فحص التلاميذ جميعاً للوقوف على ما بهم من عدوى الطفيليات وعلاجهم منها. وستدهش إذا علمت أن ما سينتجه ذلك من رفع مستوى التعليم يعوضها أضعافاً لما أنفقته في سبيل الفحص والعلاج. فقد حدث أن بعض الأطباء زار مدرسة في مكان ما في كينيا، وفحص جميع التلاميذ للطفيليات وعالج المصابين منهم، وكان يشرف على المدرسة جماعة من الإرساليات الدينية، فلاحظوا أن أكثر التلاميذ الكسالى والتلاميذ الشاغبين والذين يكثر سقوطهم في الامتحان مصابون بالانكلستوما، وقد تحسنت حالتهم بعد العلاج بشكل ظاهر، فالتزموا خطة علاج جميع الراسبين بعد كل امتحان بدون فحصهم طبياً لتعذر ذلك في مكانهم النائي، وكانت النتائج طيبة جداً في إصلاح حال التلاميذ.

فيجدر بكل والد أن يعمل على فحص أبنائه دورياً لعدوى الطفيليات وعلاجهم منها، خصوصاً إن شاهد على أحدهم سرعة نسيان ما يحفظه من الدروس أو عدم القدرة على المذاكرة طويلا، أو إذا شاهد المعلم عدم قدرته على الانتباه والالتفات طول وقت الدرس، فقد يكون الفحص والعلاج العاجل في ذلك الوقت له أثره النافع في تحسين مستوى الطفل المالي وتحويله من فاشل محقق إلى ناجح.

صاحب امتياز المجلة
رئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر
أحمد أمين

رئيس التحرير المسئول
محمد عبد الواحد خلاف

الاشتراك عن ستة أشهر:
٣٠ في مصر والسودان
٢٥ للطلبة ومعلمي الإلزام
٤٠ في الممالك العربية ضمن اتحاد البريد
٥٠ في الممالك الخارجية عن اتحاد البريد

ثمن العدد ١ مليم

نظرات في الأدب الغربي :

القصـــــة

للمرحوم الأستاذ فخري أبو السعود

يبدو لأول وهلة أن القصص أحدث ضروب الأدب ، ولكن الواقع أن الحديث هو هذه الصورة التي يبدو فيها اليوم . أما القصص نفسه فهو أقدم أشكال الأدب ؛ فإن حب الحكاية من أعمق الميول في نفس الإنسان أصلا ، والجماعات البدائية تتداول شتى القصص والأخبار والأساطير عن تاريخها ورجالها ، وعن مظاهر الطبيعة المحيطة بها قبل أن تعرف الشعر والأدب الراقي ، وحين تترقى الجماعة ويترقى الشعر عن أطواره [illegible] يدخل القصص في شعرها دخولا بينا ، فتتكون [illegible] والدرامات ، كملاحم اليونان الأسطورية [illegible] يدور موضوع أكثرها حول [illegible] حرب فارس .

عرف اليونان الملاحم والدرامات ، وعنهم أخذها الرومان ، وعن هؤلاء وأولئك أخذ الأوربيون هذه الأشكال الأدبية ؛ فكان ممن عالج الدراما في عصر النهضة الأوربية شعراء العصر الإليزابيثي في انجلترا ، وكان ممن عالج الملحمة وأشعار المخاطرات وقصصها أريوستو وتاسو الإيطاليان ، وسبنسر وملتون الانجليزيان ، وسرفانتيس الأسباني صاحب قصة دون كيشوت ، وبلغ من رواج هذه القصة الأخيرة أن غدت في أوربا كلها مثالا يحتذى ، وظلت قصة المخاطرات هي النوع الرئيسي للقصص إلى القرن السابع عشر .

وكانت أكثر قصص المخاطرات تصور أعمال أبطال متحلين بكل فضيلة من الشجاعة إلى الصلاح إلى العفة ، فضلا عن القوة والجمال ، يأخذون على عواتقهم مهمات خطرة صعبة المنال ، وتكلل مجهوداتهم بالظفر ببطلة القصة التي تتحلى هي أيضا بالمثل العليا من الفضائل والصفات ؛ وكانت هناك بجانب هذه القصة قصة الأفاق الشاطر الذي يحمل رأسه على كفه ، ويكتسب قوته بالضرب في الأرض ، لا رأس مال له إلا مهارته وحيلته وخدعته والسيف والحصان .

نفقت تلك القصص في ذلك العصر لأنها كانت تلائم نفسية أهله وتعكس صورة ذلك المجتمع وتردد أصداءه . كانت الملكية المطلقة تسود أوربا إلى ذلك العهد ، وكان الأشراف لا يزالون محتفظين بالكثير من امتيازاتهم ، وكانت عامة الشعب لا تزال تشقى وتحتقر ، وكانت الحروب لا [illegible] بين الدول والملوك والأمراء والمذاهب الدينية [illegible] الأمن لم يتوطد بعد ، والمجتمع الحديث لم [illegible] ، كانت تلك القصص تعنى بأعمال الملوك [illegible] والأشراف ، وحتى الأفاقين وقطاع الطريق ، وتهمل عامة الشعب التي لم تكن لهم باع ولا يد في عمل ذي بال ؛ وكانت تلك القصص التي تردد أصداء ذلك المجتمع تزخر بأنباء الحروب والمبارزات وصفات القدماء ؛ ولأن الفكر الأوربي كان لا يزال في نشوته ونهوضه ، كانت تكسو تلك القصص مسحة من الغرابة والبساطة ، فتعنى بالفضائل المطلقة ، وتترنم بتغلب الفارس الفاضل دائما على الفارس الشرير ، كما كانت تعج بآثار السحر والخرافة .

فلما توطد المجتمع الأوربي في فرنسا وانجلترا وغيرها في القرن السابع عشر تحت حكم المصلحين من البوربون والتيودور ، وخفت الحروب الدينية التي زعزعت جوانب المجتمع وعرقلت تقدم النهضة زمنا ، ظهرت طبقة من الشعب متوسطة عرفت أخيرا بالبورجوازي ، كانت

ثروتها ومكانتها من التجارة والصناعة وغيرها من الأعمال التي تعتمد بتوطد السلم، وانتشر التثقف والتأدب بين هذه الطبقة وذاع حب الأدب بينها، ولم يعد وقفاً على فئة قليلة من الأشراف؛ وبتوطد المجتمع على هذا النحو اتخذت القصة مبحثها الاجتماعية الحديثة التي اطرد وضوحها على مر الزمن، فنبذت المغامرات في البقاع المجهولة والتفتت إلى الأعمال المألوفة في الحياة اليومية المألوفة؛ وبدلاً من التغني بالخير المطلق والفضيلة الفائقة وتصوير الشر المطلق والرذيلة المتجسمة، انصرفت القصة إلى تحليل النفس وتبيين خيرها وشرها وتقرير حدة تفاعلها ما هي عليه.

فأهم مميزات القصة الحديثة التي ازدهرت في الآداب الأوروبية منذ القرن الثامن عشر إلى اليوم أنها اجتماعية تجول في المجتمع الحاضر وتحلله تحليلاً واقعياً، وتصور أفراده وتحلل نفوسهم تحليلاً دقيقاً، ولئن [illegible] قصص المغامرات لم تندثر ولم [illegible] الجمهور القارئ [illegible] كما هي، ولكن القراء إنما يلجأون إلى أمثال والترسكوت وستيفنسون ودوماس أحياناً طلباً للتسلية والتغيير والفرار من الحاضر الواقع إذا ثقلت وطأته على النفوس؛ ولكن أهم مميزات القصة الحديثة هو كما نقول أنها قصة اجتماعية، بينما كانت القصة القديمة قصة بطولة؛ والقصة الحديثة واقعية علمية تحليلية، والقصة القديمة كانت خيالية حماسية مملوءة بالخوارق والمفارقات والمصادفات غير المحتملة.

وكانت فرنسا في القرن السابع عشر والذي يليه تقود القارة الأوروبية في الحضارة والثقافة، فكانت القصة بمظاهرها الحديثة أسبق ظهوراً فيها، وكانت كتابات مدام لافاييت الحجر الأساسي في صرح القصة الفرنسية الحديثة. وممن عالج القصة بعدها ماريفو الذي كان له أثر عظيم في ريتشاردسون المعدود مؤسس صرح القصة الانجليزية في القرن الثامن عشر، كما عالج القصة الطويلة والقصيرة في فرنسا في ذلك القرن [illegible] روسو وفولتير. وما انتصف القرن التاسع عشر حتى ازدهرت بذور القصة في انجلترا وفرنسا وتابعتهما الشعوب الأخرى، حتى ظهرت القصة الروسية على أيدي جوجول وترجنيف وتولستوي وغيرهم من أقطاب القصة الروسية التي بهرت أوربا الغربية.

وإنما توطدت القصة في الأدب الأوروبي ونجحت هذا النجاح وراجت كل هذا الرواج للظروف الاجتماعية المساعدة لانتشارها، وأهم هذه الظروف انتشار الديمقراطية، فالقصة صورة من الأدب ديمقراطية، في حين أن الشعر والدراما صورتان من الأدب أرستقراطيتان، إما لأن الاستمتاع بهما يستلزم ثقافة لا تتوفر للفرد العادي، ولا يساندها جمهور الناس، وإما لأن جمهور الروايات المسرحية في غير مقدور الفرد العادي [illegible] وقتاً معيناً [illegible] أن يحصل الفرجة في أثنائها [illegible] إلى إدخال الجمهور المسرح عاماً.

[illegible] في النحو كما تقدم القول، فظهور [illegible] قراءة تلك القصة، والتي تدرس القصة أحوالها الباطنية بدل التوفر على وصف مغامرات الفرسان والأبطال؛ واستتبع نمو الديمقراطية انتشار التعليم بين مختلف طبقات الشعب، فاستطاع الكثيرون مطالعة القصة. وكان الأميون في العهد القديم يروون ظمأهم إلى الحكاية بتداول القصص والأسمار شفاهاً، فلما تعلموا القراءة آثروا القصص المكتوبة التي هي عادة أروع تأليفاً، ولما كثر الجمهور القارئ للقصة كثرت القصص حتى طغت على ما عداها من ضروب الآداب.

ثم كان التقدم العلمي الذي تم في القرن التاسع عشر فساعد أيضاً على رقي القصة وأبان مزاياها، فإن القصصيين تبعاً للنزعة العلمية التي سادت العصر الحديث انصرفوا إلى الدقة في الأوصاف والتحليلات والتزموا الواقع وصوروا الحقيقة عارية، والقصة ولا شك أرحب

صدراً لهذه الرحلة الفنية من الشعر أو الملحمة ، لأن القصة تتسع لتلك الأوصاف والتفصيلات التي لا يتسع لها الشعر الذي هو بطبيعته أميل إلى الخيالي والعبارة الموجزة والتعبير المكثف اللامع ، فاتسعت القصة الحديثة لدقائق المجتمع من الأوصاف المادية وحياة المجتمع ودخائل النفس .

وانتشار التعليم العام كان له أعظم الأثر في حالة المرأة : فبعد أن كانت في العصر القديم — باستثناء بعض نساء الطبقة الأرستقراطية — معزولة عن الأدب والعلم أقبلت عليهما معاً ؛ والقصة ولا شك أليق بطبيعة المرأة المثقفة من الشعر أو غيره : من طبيعتها أنها تميل إلى قراءتها نظراً لسعة القصة الاجتماعية ... ومن طبيعتها أقدر على التأليف فيها لما في القصة من دقة وتفصيل تنزع إليهما المرأة ، على حين تعزف عن النظريات الفلسفية والأخيلة الجامحة ؛ ومن ثم راجت القصة بين النساء المثقفات رواجاً عظيماً ، ونبغت كثيرات منهن في كتابتها ، ... جين أوستن وشارلوت برونتي والكاتبة ... وفي فرنسا جورج صاند ... وغيرهن .

وصحب عصر الديمقراطية الحديثة أيضاً اتجاه الأدب كله اتجاهاً اجتماعياً وسياسياً ، ودعوة إلى المشاركة في حكم الدولة وإصلاح أحوال الشعب ، فوجد الأدباء الراغبون في الإصلاح وقيادة الفكر في بلادهم أن القصة سلاح لهذه الأغراض ماض ؛ ففي القصة يستطيع الكاتب أن يصور الحالة التي يبغي إصلاحها أدق تصوير حتى يجسم لقرائه عيوبها وبشاعتها ، وفيها يستطيع أيضاً أن يصور العلاج ويوازن بين الصالح والفاسد ؛ ففي إنجلترا اتخذ ديكنز القصة وسيلة لإصلاح أحوال العمال كما حمل قصصيو الروس على عرض ما كانت تعيش به أحوال بلادهم الاجتماعية من ... ومفاسد ورذائل ، وعانوا في سبيل ذلك النفي والاضطهاد ، كما كان للقصصيين الأسبان أثر بعيد في الحركات التي توالت على أسبانيا في العهد الأخير .

فالظروف الصالحة لظهور القصة هي التي عملت على نموها هذا النمو السريع حتى كادت تستأثر من دون أشكال الأدب الأخرى بمواهب المؤلفين واهتمام القارئين ؛ كما ساعد على نموها أيضاً ما لها من مزايا خاصة بها وحاجة العصر للدقة والتفصيل كما تقدم القول ، وما تستطيع عرضه من صور المجتمع والنفس الإنسانية بحيث يعجز الشعر عن عرضها في ذلك الوضوح والجلاء ، والتساوق الذاتي والحوار بجانب متع الوصف ؛ فالكاتب القصصي القدير إذا التفت إلى الوصف أمتعك بما يمتعك به المصور الفنان بريشته ، وإذا اتجه إلى الحوار أطربك بما يطربك به الممثل القدير ؛ ثم إن القصة الفريدة تحتوي من الأخلاق وتصف من المواقف ما لا تقبل الرواية التمثيلية بعضه .

هذه بعض مزايا القصة من جانب القارئ . أما من جانب المؤلف فإن في تسع موضوعها وتأليف حوادثها [illegible] القصصي كبيرة ، وكل ذلك يحتاج إلى [illegible] تجربة واسعة وعبقرية خالقة . كما أن القصة [illegible] فيبث آراءه وتجاربه في شتى المواقف وعلى لسان شتى الشخصيات التي يخلقها ، وتتسع لفيض ذكرياته التي يحملها لعهد طفولته ، بما فيها من أشباح الرجال والنساء الذين مثلوا قصة الحياة على مسرح طفولته ، وهو يشهدها بعينيه الصغيرتين الحائرتين . والحق أن كل القصصيين عرضوا شخصياتهم في قصصهم على صور شتى ، وسجلوا ذكريات طفولتهم في مواضع متعددة .

وكان طبيعياً إذا ارتقت القصة كل هذا الرقي وشغلت من نفوس الكتاب والقراء هذه المكانة ، أن تتعدد فروعها وأشكالها ، فنمت القصة الإصلاحية والقصة النفسية التحليلية والقصة الدينية ، وقصص الرحلات إلى الشرق والغرب والحياة في المستعمرات ، وقصص الرياضة البدنية وقصص الأطفال والمراهقين . ومن القصصيين من كتب في الكثير من هذه الأنواع ، ومنهم من توفر على ضرب

خاص . ومن القصصيين من قام بالرحلات إلى قصد ليجمع الطريف من الموضوعات والمناظر لقصصه ، ومنهم من عاشر العمال زمانا حين أراد الكتابة عنهم .

وظهور القصة وارتقاؤها في العصر الحديث صير المواصلات الراقية والاتصال الفكري والتجاري الدائم بين أمم أوربا ، تأثرت قصة كل شعب أوربي بقصة الشعوب الأخرى ؛ تأثر الإنجليز بالفرنسيين ، وتأثر القصصيون الفرنسيون ببعض قصصيي إنجلترا كوالتر سكوت وديفو ، وتأثر الروس بالقصة الفرنسية والإنجليزية زمناً حتى نضج قصصهم نضجه النهائي ؛ فعاد يؤثر في القصص الأوربي كله أبلغ الأثر ، بيد أن القصة الإنجليزية تمتاز في العموم بأنها أكثر اجتماعية من القصة الفرنسية ؛ فالإنجليز شعب يؤمن بالعمل الجمهوري ، ويهتم بالمجموع أكثر مما يهتم الفرد من اهتمام ؛ ومن ثم نحت القصة الإنجليزية إلى تصوير أحوال [illegible] القصصيين الإنجليز شاركوا في [illegible] مشاركة فعالة .

أما القصة الفرنسية فلم تشارك في ذلك كثيراً ، وسيمتها النزعة الفردية ، ونزعتها تتجه إلى التحليل السيكولوجي للفرد ، كما أن نزعة الحرية الخلقية أبعد فيها ، وفيها من تصوير المفاسد الخلقية ، والحياة الزوجية التاعسة والخيانة والتقلب ونحو ذلك ما تتحرج عنه القصة الإنجليزية في جملتها ، لميل الإنجليز إلى المحافظة على التقاليد الظاهرية وموجبات اللياقة . أما القصة الروسية فتجمع بين نزعة القصة الفرنسية السيكولوجية ، وبين نزعة القصة الإنجليزية الاجتماعية ، وتنحو إلى عدة وذلك بواقعية صارمة وبساطة في التأليف وبعداً عن الصناعة الشكلية وجوًّا عابساً داجياً يعكس الأحوال السيئة التي كانت ترزح تحتها روسيا في القرن الماضي .

زاحمت القصةُ الشعرَ في عالم الأدب ، وغلبها كثير من الشعراء كوالتر سكوت ، وأميل زولا ، وميريديث وهاردي في الإنجليزية ، ولامرتين وهوجو في الفرنسية وبوشكين وليرمونتوف في الروسية ؛ وصحب نهوضَ القصة في العصر الحديث هبوطُ الشعر حتى اعتقد كثير من النقاد أن عصر الشعر قد مضى ، وأنه لم يعد يلائم المجتمع الجديد ؛ وهو وهم لا يجوزه النظر في تاريخ الآداب ، ولا النظر في تاريخ القصة ذاتها ومكانتها ووظيفتها ؛ فالعصر الحديث ليس أول عهد ركد فيه الشعر ثم صحا من ركوده صحواً رائعاً ؛ فقد ركد في القرن الثامن عشر ، ثم نهض نهضة رائعة على أيدي الرومانتيكيين ؛ وكما أن الشاعر الفرد يخصب زمناً ، وتغيض ينابيع شاعريته حيناً ثم تعود أقوى وأغزر مما كانت ، فكذلك المجتمع كله تجري شاعريته حيناً وتنبسط ، وتغيض حيناً وتنقبض . .

[illegible] لا تغني غناء الشعر ولا تؤدي [illegible] في القديم ، من الإفصاح عن نوازع النفس [illegible] على تصوير الأحوال الاجتماعية [illegible] راجت القصة في هذا العصر الحديث كما [illegible] الجمهور القارئ ، ممن نالوا حظاً من التعليم يؤهلهم للقراءة دون أن ينالوا حظاً من التثقيف يمكنهم من تقدير الفنون العليا والآراء الراجحة والنظرات النافذة ، وإنما يجدون غذاء عقولهم في القصص السهلة التناول ، القريبة الغور ؛ والسواد الأعظم من قراء القصة هم من هذا الفريق ، والقصص السامية القوية الناطقة العميقة الفكرة الرصينة الأسلوب كاسدة لدى هؤلاء كساد الشعر تماماً ، فإن قرأوها فإنما يقرأونها لحوادثها السطحية ولا يلتفتون إلى ما وراءها من الفكر ، وما في أطوائها من التحليلات ، ويمرّون بما يتخللها من وصف وتحليل مرّ الكرام ، ويتجاوزون ذلك إلى ما هنالك من رائع حادثة أو واقعة غرام .

فالقصة ضربٌ من الأدب حديث عظيم القيمة تمتاز به

٢ - شاعر عباس باشا الأول

الشيخ محمد شهاب الدين

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

كان العصر الذي نشأ فيه الشيخ محمد شهاب الدين عصر صناعات لفظية ومحسنات بديعية . وهو أثر من آثار عصر الأتراك الذي اتجه فيه الشعر إلى هذا النوع من الكلام اتجاهاً نقص من قيمته وحط من شأنه ، وجعله مجرد ألفاظ مرصوفة ، وجمل مصفوفة ، لا عناية فيها بمعنى جليل ، أو تفكير سليم ، أو حس دقيق .

وكان من الطبيعي أن يجول الشيخ محمد شهاب في هذا الميدان ويصول ؛ ما دامت الأذواق لا تزال في عافية من ولوع بالزخرف من الكلام ، والوشي من القول ؛ ولهذا نرى ديوان هذا الشاعر زاخراً بقصائد لا تخلو من هذه المحسنات البديعية . فهو يتكلفها تكلفاً ويتصيدها تصيداً ، ويحتال في الوصول إليها بكل حيلة تمكنه لديه .

ومن الظاهرة البديعية في شعره أنه اتخذ من اسمه « شهاب » آلة ميسورة لاصطناع الكناية الرقيقة ، أو التورية الخفية ، أو الجناس الذي يحلو حيناً ويسمج أحياناً .

فهو يقول في صفحة ٣٩ من ديوانه الذي لم يطبع غير مرة واحدة ، مادحاً المرحوم عباس باشا الأول ، قبل توليه أريكة الحكم :

هاك من خريدة بنت فكر ما اقترنها بد الخنا عساس
لو أتاها الشيطان يسترق السمـ ـع رماه (شهابها) بانتكاس

فهو هنا يحشر الشيطان حشراً في القصيدة لكي ... (شهابا) ، مشيراً بذلك إلى قوله تعالى في سورة الجن : « وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع ، فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً » .

وقد تكون هذه التورية مستملحة ومقبولة ، لو أن الشاعر لم يكثر استعمالها ؛ ويطل إدارة المديح عليها ، فقد أنهكها بذلك ، حتى كادت تكون ممقوتة في الأذن ، مردودة ثقيلة على السمع . فهو يقول مادحاً ومهنئاً أدهم باشا مدير ديوان المدارس بمناسبة عودته من أوربا :

هاك مني وصيفة بنت فكر مثلها خادم ومثلك يخدم
حرست في سماء حسن علاها (بشهاب) به الشياطين ترجم

ويقول في مدح الشيخ أحمد الصائم شيخ الجامع الأزهر ، وتهنئته بالسلامة من مرض اعتراه :

هذا (شهابك) بالرصاد يقذف من يستمعون وترديهم قواطبه

ويقول مورياً أيضاً باسمه شهاب :

الآداب الأوربية الحديثة على الآداب القديمة عيباً ، ويناسب المجتمع المصري كثيراً ؛ ولكن القصة لا تحل محل الشعر ولم تقض عليه ، وليس ركوده النسبي في العصر الحديث راجعاً إلى مزاحمة القصة إياه ؛ فالقصة والشعر ضربان من الأدب لكل منهما مزاياه ومناحيه الخاصة به ، يتجاوران ولا يتضاربان ، كما تتجاور شتى ضروب الأدب الأخرى ، وسيأتي الوقت الذي تفقد فيه القصة هذه الصدارة التي تتمتع بها في الوقت الحاضر ، وتعود ضرباً عادياً من ضروب الأدب ، وإن ظلت لها دائماً مكانتها المحدودة ومزاياها الخاصة .

فخري أبو السعود

إن بين الشهاب والبدر بوناً

هل تساوى فرع وأصل أصيل ؟

* * *

أما « الجناس » — وهو اتفاق الكلمتين في اللفظ مع اختلافهما في المعنى — فشائع في شعر « الشهاب » . ولا شك أنه كان يتعمله تعملاً كما اقتضته طبيعة عصره ، وذوق أهله . فالشاعر في زمانهم كان يقاس ويوزن بما حوت قصائده من هذه الصناعات الكلامية التي لا تعدل شيئاً في زماننا . وأغلب (جناسه) كان في مفتتح قصائده وسهول أبياته ومقطعاته . ولو أخذنا نحصى عليه ما استعمل من أنواع الجناس لخرج بنا القول عن المقام فنكتفي بإيراد بعض الأمثلة للدلالة على ما نقول .

فهو يخاطب عباس باشا الأول ويهنئه ويمدحه بقصيدة مطلعها :

أكئوس تجلى منك (الدوالى)

أم شعر يرتشف منه (الدوالى)

ويلاحظ الجناس بين الدوالى الأولى وهي جمع دالية ، والدوالى الثانية وهي مركبة من كلمتين (الدوا) وأصلها الدواء ، ومن حرف الجر مع ياء المتكلم (لى) .

ويقول « محتفياً » أيضاً في مطلع قصيدة يهنئ بها « عباساً » بعودته من الآستانة :

فرح الصدور قدوم أعدل (وال)

فأدر مدام الأنس صاح (ووال)

ويقول في مطلع قصيدة يهنئ بها محبوه بسلامته من الهواء الأصفر :

نكب الزمان وقال إلى (الدم)

فادعوا الندامى والمدام (وأقدموا)

ويقول في مطلع أبيات يهنئ بها محبوه بولده محمد الصديق :

جاد الزمان وأبدى ليلة (القدر)

بوضع نجل جليل الشأن (والقدر)

وهكذا نرى الشاعر المرذول في استعمال الجناس واصطياد الألفاظ التي تؤدى ما ذهب إليه وقصد له . وقد يكرر الجناس في قصائده أكثر من مرة ، فتراه في هذه القصيدة أو في تلك ، وتحس حين تقرؤه بسماجة النغمة المكرورة ، وثقل الكلام المرجوع . وأحسن مثال على ذلك جناس (الدوالى) ! ! فقد أعاده في قصيدته التي يهنئ بها (عباسا) بقدوم الأمير شقيقه من الآستانة حيث يقول :

صاح حيا بكأس بنت (الدوالى)

واسقنيها فأنت فيها (الدوا لى)

على أن بعض هذه (الجناسات) والتوريات كان يختفي من مطالع قصائده ، ويظهر في أثناء القصيدة ، وفي وسط الشعر ، كقوله في مدح مصطفى باشا نجل عبد الباقي بك الذي ... أيضاً لخزانة الكتب :

... ... في حمى عطفك يبهر

والتورية في ... ظاهرة واضحة ، وفيها إشارة إلى قوله تعالى : « وأما السائل فلا تنهر » .

وأغرب من ذلك كله هو إغراق هذا الشاعر في استعمال مصطلحات العلوم وخاصة علم النحو والصرف . فهو يذكر « الحال » موريا بين الحال بمعنى الشأن والحال التي هي من منصوبات الأسماء في علم النحو . ويذكر الضمير (ويورى) بين الضمير (الإنسانى) والضمير (النحوى) . ويذكر (الأمر) و (النهى) ويقصد التورية بمدلولهما في علم النحو .

اسمعه يقول في مدح مصطفى بك مختار مدير المدارس :

رأيت « حالا » « مضى » « قدر »

« أبرز » في « شأنه » « الضمير »

فكل كلمة في هذا البيت تحمل معها تورية نحوية

من حال إلى فعل ماضٍ إلى إبراز الضمير إلى ضمير الشأن

واسمعه يقول مادحاً سامى باشا ناظر الوقائع :

هو الفلك المحيط بكل معنى ... وفياض الفضائل فى الأنام
(بيان) من (معانيه) (بديع) ... وسحر حديثه حكم الكلام

فهو يورى هنا بعلم البيان والمعانى والبديع فى شطر واحد.

واسمعه يقول مادحاً حسن باشا محافظ المحروسة ومورياً فى الحقيقة والمجاز من علم البيان :

ما لأيديه فى (الحقيقة) شبه
إذ (مجاز) النوال فيها (مرسل)

فاستعمل هنا كلمات الحقيقة والمجاز والمرسل، وهى من اصطلاحات علماء البيان

ويقول فى القصيدة نفسها مشيراً إلى علم الصرف :

علل الصرف فى الضرورة تلغى
كيف ذو [illegible]

ويورى فى قصيدة لإبراهيم بك [illegible] الدارس بعض مصطلح الحديث فيقول :

إنى على دعوى الهوى ... والحب لى حجج قويه
(وحديث) أشواقى إليك (مسلسل) بالأوليه

* * *

وكان الشهاب أولع فيما أولع به من المحسنات الكلامية بالكنايات الكثيرة، فهو لا يدعو القمر قمراً، ولكن يسميه «خليل الشمس»، ولا يسمى الخمر خمراً ولكن يدعوها «ابنة الكرم»، ولا يسمى قصائده قصائد ولكن يدعوها «وصائف» أو «أبكاراً» أو «أوانس» أو ما إلى ذلك. ولا يسمى المطر أو الماء ماء ولكن يدعوه (ابن السحاب) أو (ابن المزن).

اسمعه يقول من قصيدة لعبد الباقى بك خازن الخزانة الخديوية :

زوّجت (ابن مزنة) ... بنت كروم الشيب

ويقول ممتدحاً السيد محمد البكرى شيخ السادة البكرية ونقيب الأشراف فى زمنه :

(بنت كرم) عذراء تشهد أنها
كشذا المسك فى مذاق العقار

ويقول فى القصيدة نفسها :

زوجوها (ابن السحاب) فجاءت
من دراري حبابها بدراري

والمعنى لطيف فإن الخمر لما مزجت بالماء حدث من هذا المزج أو الزواج ذرية كثيرة من الحباب الذى يطفو على وجهها كالدرارى المنثورة.

ويقول فى مدح عارف بك شيخ الاسلام فى تركيا :

أرجو قبول (وصيفة) قد قلدت
علاك عقداً لم تنله وصائف

فهو هنا يكنى عن قصيدته (بالوصيفة)

ويقول فى مدح الخديو عباس باشا الأول :

[illegible] ... ما افترعها يد الخطا عباسى

ويكرر الشطر الأول بنصه فى قصيدة أخرى يمدح بها الشريف «محمداً بن عون». ولا شك أن هذا التكرار فى الأشطار والألفاظ والمعانى والجناس دليل على إفلاس الشاعر وقلة بضاعته. فهو يقول للشريف :

هاك منى خريدة بنت فكر ... جهرت فى منصة وزفاف

ويكنى من قصيدة أخرى للشريف «عون» بأنها «وليدة فكر» فيقول :

خذها (وليدة فكر) راق منظرها
كأنّ ريقتها ضرب من الضرب

ومما ذهب إليه الشيخ محمد شهاب فى شعره «استعمال التاريخ» وهى بدعة شاعت فى عصور الشعر المتأخرة، وكان لها فى ذلك الزمان شأن أى شأن. وإذا راجعنا دواوين الشعراء منذ أيام محمد على باشا إلى العشر الأولى من مطلع القرن العشرين وجدناها مشحونة باستعمال

التاريخ ؛ ولم يسلم من ذلك شاعر واحد . حتى امتدت العدوى إلى شعراء في العصر الحديث معدم من الفحول ، ومحسبهم في شعراء الطليعة ؛ كالمرحوم اسماعيل باشا صبري ؛ فان المتصفح لديوانه الذي طبع أخيراً في ثوب من العناية والرونق ، يجد في حقه من التدقيق وحسن الذوق رى الشاعر الكبير يستعمل التاريخ في بعض مقطعاته .

على أن هذه البدعة الشعرية قد ماتت في زماننا هذا ولم يعد بحمد الله من يبكى على موتها ، أو يتطلع إلى إحيائها ؛ فقد أدرك شعراء العصر الحديث ما تقتضيه صناعة التاريخ الشعرى من التكلف والعنت والضرورات التي قد تضحي باللفظ الفخم النبيل ! أو الأسلوب العالى المستوى إلى لفظ ساقط أو أسلوب مرذول للتستر الحسبة التي تريد

أما الشيخ شهاب فقد عنى بالتاريخ الشعرى عناية فائقة ، واختص به جزءاً كبيراً من ديوانه ، فهو يؤرخ لكل حادثة في زمانه ، أو لكل حدث من حوادث عصره بالبيتين أو الثلاثة أو الأربعة أو الخمسة ، وأطول تاريخ من تواريخه من ستة أبيات ، ولم يقل عن بيتين .

فهو يؤرخ لبناء القناطر الخيرية سنة ١٢٦٣ هجرية في خمسة أبيات ، ويؤرخ لتولية عارف بك مشيخة الاسلام في تركيا ببيتين ؛ ويؤرخ لقنطرة شيدها إبراهيم باشا نجل محمد على باشا سنة ١٢٦٤ هـ ؛ ويؤرخ لستر الكعبة الشريفة سنة ١٢٤٣ هـ ، ويؤرخ لبناء قبة الامام الحسين رضى الله عنه سنة ١٢٣٩ هـ في ثلاثة أبيات ؛ ويؤرخ لوفاة الأميرة حواء هانم أخت الخديو عباس باشا الأول سنة ١٢٦٩ هـ ؛ ويؤرخ لكثير غير ذلك مما عظم أوهان من أحداث الزمان ، فيؤرخ لانشاء منظرة أو بناء حمام ، أو وضع غلام . . .

* * *

ويظهر من مطالعة ديوان الشهاب أنه كان خفيف الظل ، بارعاً في الطلب ؛ وكثيراً ما عد من مطالبه بجانب الجد ، محقق الرجاء . فهو يطلب (بغلة) من الخديو عباس باشا الأول في شعر خفيف طريف ، فتجاب طلبته . . . وكان (السمن) نادر الوجود في زمن من الأزمان ، فيكتب إلى على بك حسيب أمين جمرك بولاق قصيدة طويلة يطلب فيها مقداراً من السمن بثمنه ، ويقول فيها :

آلية بالسمن أو زبدة ‏ لله ذو أصلها الحليب
لأعرضن الحال للفتى اللبق ‏ رجاء من يرجوه لا يخيب

* * *

ولقد مدح الشيخ شهاب كثيراً من أعلام عصره ، ورجالات دهره . فمدح منشئ مصر الحديثة « محمد على باشا » وعبد إبراهيم باشا وعباس باشا الأول . ومدح أدهم باشا ومصطفى بك مختار الخرى العارف أو مديرى إدارة المدارس كما كان الاسم في ذلك الحين . ومدح الشيخ [illegible] وعارف بك شيخ الاسلام بتركيا والسيد محمد البكرى نقيب الاشراف والسيد محمد المروحي والشيخ حسن العطار والشيخ حسن القويسنى والشيخ أحمد الصائم شيوخ الجامع الأزهر والشيخ محمد العباسى المهدى المفتى ، والشيخ محمد عليش شيخ السادة المالكية وغيرهم .

وكان يخاطب ممدوحيه بالكنى اللائقة لأسمائهم ؛ فتراه مثلا يخاطب عبد الرحمن بك مظهر بقوله :

فأبشر (أبا عوف) بعفو ومغفرة
وطب طربا واشرب على رنة الزهر

وعلى الجملة فهو مثال جيد لشعراء مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادى ، وشعره صورة صحيحة لعصره ، ومرآة صادقة لبيئته التي كانت فاتحة لفتح عصرنا الحديث

(القاهرة) محمد عبد الغنى حسن

الصندوق الأبنوس

ترجمة راجية فهمي

قال الكولونيل « فون التروك » : كلا كلا ، إن هذا غير صحيح ! ثم هدأ الكلام بغتة ، والتفت إليه المدعوون ينتظرون تمام الحديث ، غير أن الكولونيل أخذ يلعب بالكوب الفارغ في حركة عصبية ظاهرة ، ثم عاد إلى الكلام في خجل فقال : « مما لاشك فيه أن الحرب تلهم أعمالا نبيلة ، وتظهر صفات عظيمة من رجال لم يكن ينتظر منهم أي شيء ، ولكن من ناحية أخرى بعد أشهر من القتال تضطرب الأعصاب ويفصل التعب والخطر فعلهما ، حتى ينسى الإنسان نفسه ، ويهبط أحيانا حتى يصل إلى الوحشية . إني أعرف هذا تمام المعرفة ، فمنذ ثلاثون عاماً في حصار باريس ، والتي لا أنساها أبداً من حياتي تدل على ما حدث حول مقعد ... في ليلة عيد سنة ١٨٧٠ ؛ وإذا شئتم قصصت عليكم ما حدث ، غير أن حديثي ربما أخركم عن ميعاد الأوبرا » .

كانت « فاوست » أوبرا ذلك المساء قد سمعها أغلب المدعوين ، فأجابت مضيفته : « إن عندنا لا يهم » . فاستأذن الكولونيل في أن يدخن ، وبدأ يقص فقال :

« كنت ضابطاً في الفرقة الخامسة ، وفي شهر ديسمبر كونا جزءاً من حلقة الحصار حول باريس . وفي ليلة عيد الميلاد كنت في « نواري لوجران » أؤدي واجبي ، وفي تلك الليلة انخفضت الحرارة حتى الثانية عشرة تحت الصفر ، فخيل إلينا أن كوخنا الصغير مأوى مريح . وكنا نستعد للاحتفال بليلة العيد ، وقد وصلنا في الصباح برميل من البيرة من أبي ، غير أن قائدنا ما كاد يقارع شرب نخب أبي حتى سمعنا طارقاً على الباب ينادي لتسمل ، خرجت ، ولم أجد الوقت الكافي للتحضير ، وسرت متثاقلا في الظلام وأنا أسمع من الخلف قائدنا ينادي » .

وصلت حيث يعسكر الكولونيل فوجدته في غرفة عارية ، نورها ضئيل ، وهو يقرأ في قطعة ورق مشتاة ، وقد انهمك في قراءتها حتى لقد مرت بضع دقائق قبل أن يراني . أعطاني رسالة مختومة أؤديها لقائد ناحية رانسي ، وحذرني من خطورة الطريق ؛ ولكن قبل أن أخرج ناداني وأعطاني الورقة التي بيده وسألني عما أستنتج منها . أخذت الورقة فرأيت عليها جملة واحدة فيها كثير من الأغلاط ، وهي لا تعدو أن تكون رسالة من مسيو بونيه إلى والده في ... يقول له فيها إن الجرة الكبيرة السوداء ولها حلية ... فالتفت إلى الكولونيل وقلت : « إنها لا تعني أكثر مما فيها » ، فأخذها مني وقال : « أجل ، ربما لا تعني أكثر مما فيها » .

غير أني ما كنت أتوغل في الطريق حتى طارت من خيالي هذه الأفكار كلها ، فأمامي أخطار لا بد أن أواجهها . عبرت القرى وسرت في الغابة حتى آخرها ، وبعد ميل وصلت إلى كوخ على مفترق طريقين لم أعرف أيهما أسلك . دخلت نحو الكوخ وقرعت بابه بشدة ، فلما لم يجبني أحد كسرت زجاج النافذة بقبض مسدسي وصرخت قائلا : « أهنا يوقظكم ؟ » وإذا بالباب يفتح وتقف أمامي امرأة قروية عجوز متقدمة في السن والروماتزم يمنعها الحركة ويعجب صوتها يدها ترتعش وقالت متحدية : « إني لا أستطيع الحركة كما كنت في صباي . هل من خدمة أؤديها لسيدي ؟ » لم تسمعني كلمة لوم على زجاجها المكسور ، غير أني قطعت عليها

اعتذاراتها وسألتها بخشونة عن الطريق.

وصلت إلى رئاسي وأديت الرسالة وفي العودة أصدق القائد ببعض الحراس. عبرت وأنا أفكر لا في العجوز الغريبة وزجاجها المكسور، ولكن في حصار السيو غريبة! وهل إذا ضرب العدو في شيء، يعني عدو الخندق الجدد فيقوى هذا من عزيمة أهل باريس فتطول مدة الحصار. كنت أفكر حينما لفت نظري فجأة قصر مضاء كله في هذا المكان القفر. كان قصر «آل فيلا نابوا». وكان حول باريس قصور مثل ما هو الآن ولكنها كانت مهجورة هرب سكانها. فكان منظر القصر وهو مضاء كيف يعيش أهله حياة منتظمة؛ غير أني كنت كلما أمعنت النظر فيه ازداد تفكيري في حصار السيو غريبة، وهل يكون هو حلقة الاتصال المفقودة. أمرت رفقائي بالسكون والبقاء، ثم طلبت من أحدهم أن يراقب أي منفذ حتى إذا تقدمت نحو السلم، وقبل وصولي إليه فتح الباب، وخرجت منه فتاة تحمل مصباحا. جعلت المصباح [illegible] على شعرها ووجهها ومنكبيها. كانت فتاة طويلة نحيفة، عيونها واسعة سوداء، ولها وجه جميل جذاب على الضحك، ولكنها الآن كانت شاحبة اللون مقطبة الجبين. وقفت صبرة ثم بدأت تحرك المصباح من الشمال إلى اليمين، وفي الفترة التي يغمر نور المصباح وجهها كنت أرى القلق مرسوما عليه. سألتها بغتة: «من تنتظرين هذه الساعة أيتها الآنسة؟» لم تتحرك أو تصرخ، ولكن المصباح فقط اهتز ووقفت بضع ثوان دون حركة، ثم أنزلت المصباح وقالت: «إنك روسي!». «أمن الشرطة لأتحقق شيئاً» فأجابتني بهدوء: «إني غير خائفة». . ظننت أني سمعت صوت حصان يتحرك فنزلت لأرى، فقلت: «إذا لم يكن المصباح إشارة لرجل يختبئ في الغابة؟» فنظرت إليّ بدهشة، فظننت حقا أنها تلقى القتيل، ولكن مظهرها لم يخدعني لأني كنت رأيت على كتفيها معطفاً حربيا «ستقولين أيضاً إن هذا معطف سيدة» فانفجرت ضاحكة! حقا أنها كانت إهانة. إنه مهين دائما لشاب ألا يعامل بجد وخاصة إذا كان هو المنتصر. ولكن سامحتني أجابتني: «هذا المعطف لضابط فرنسي مجروح أسر ثم أفرج عنه بكلمة الشرف وهو الآن في منزلنا». فقلت: «سأتشرف إذاً بمعرفته» ثم أتيت الخندق، وما اقتربت حتى ظهر على وجهها الرعب وقالت بخوف: «إنك لن تأخذه. إنه لم يقتل أحداً حتى لو أراد ذلك. إنه لا يستطيع» غير أني لم أصدقها، ولم أثق بما قالت، بل ظننت أني قد وضعت يدي على الدليل الخاص بتسرب الأخبار حول معسكرنا.

دخلت إلى غرفة الاستقبال فرأيت فتى يرقد على أريكة وعلى رجليه غطاء. ومن المؤكد أن وجهه كان جميلاً حينما كان معافى، ولكنه كان الآن شاحب اللون. وكانت تجلس أمامه عجوز تلعب معه الشطرنج. عرفت أنه الضابط المجروح وأن السيدة هي عمة مدموازيل «صوفي» البارونة دو [illegible]. والتفت إلى «صوفي» وسألتها عن سبب وجودها بينما هرب الجيران، فقالت: «لأن أمي مريضة لا تستطيع الحركة ونحن لا نستطيع تركها بمفردها». فقلت: «سأتحقق من ذلك» فقالت: «سأقودك بنفسي» وشكرتني أجبتها: «هذا بالضبط ما كنت أنتظر. ستأخذينني أنت لتترك أصدقاءك يحرقون كل ورقة لها أهمية؟ إني لا أنخدع بمثل هذه السهولة».

ناديت على الحارس وأمرته بالبحث في أنحاء المنزل. ثم التفت إلى الضابط وسألته عن سبب بقائه هنا أول ما أفرج عنه، فأدار وجهه نحو صوفي وقال: «لأنه يبقى هنا أعز أصدقائي» وأخذ يدها برشاقة الرجل الفرنسي

ورفعها إلى شفتيه وقبلها ، فعرفت طبيعة العلاقة التي بين عشيق الشابين .

ثم رجعنا إلى الملعب كأن لم يكن بالغرفة متطفل ، وشعرت بسرور عظيم حينما عاد الجندي وقال إنه لم يجد بالقصر أحداً إلا أم الدسوازيل صوفى وخادما عرسها . غير أني لم أطمئن ، فجعلت بدوري أبحث في أنحاء الغرفة لعلي أجد شيئاً . ولكني لم أجد ما يثير ريبتي . كان للغرفة باب آخر فسألت عنه ، وقالت صوفى إنه باب غرفة نومها ، فدخلتها حاملا الوحل والثلج إلى المخدع الجميل النظيف . بحثت في أنحاء الغرفة حتى وجدت درجاً مغلقاً فطالبت منها فتحه . وبينما هي تتمهل لاحظت أنها ترتعش في حذر ، فأيقنت أنها ستحتال علىّ ، فاتجهت وحدي ففتحته ، لأنها خطفت شيئاً وجرت مسرعة نحو باب آخر ، ولكني لاحقتها وأخذت منها ما بيدها بالقوة . كانت دلاية أنبوبية منقوشة ، هذا هو الشيء الذي أخذته .

ثم رأيتها تأخذ سلسلة ذهبية من عنقها معلق فيها مفتاح ذهبي صغير ! ومدت يدها إلىّ وقالت بصوت منخفض : « افتحه هنا » . غير أن هذا التغير المفاجئ زاد شكوكي فقلت : « هذه حيلة أخرى ، ربما تريدين كسب الوقت لصديقك في الغرفة المجاورة . كلا سنعود ونفتحه بجانب المدفأة » حملت الصندوق فإذا هو يحتوي على ما أبحث عنه ، أوراق ! جلست قرب المدفأة ، وبينما أدخل المفتاح في القفل وضعت صوفى يدها على ذراعي ، وبكل رقة قالت : « أتوسل إليك ألا تفتح الصندوق هنا . فإنك لو فعلت لنالني أذى عظيم ، وأما أنت فستندم ندماً كثيراً . لا شيء فيه يهمك . إنه يحوي أسراري الصغيرة ، أسرار كل فتاة أسرار تقدمها » . غير أني أفهمتها بأن أدير المفتاح فوضعت يدها على الغطاء وهمست : « كنت ألبس المفتاح في سلسلة حول عنقي . ألا يدلك هذا على شيء ؟ افتح الصندوق واقرأ الخطابات ، وستسبب لي بجعلك هذا حياة موحشة حياة الوحدة والانفراد . إنك ستحطم كل أمل لي في السعادة . حقاً إننا أعداء ، ولكن سيأتي يوم تنتهي الحرب ، وأظنك لا ترغب في إطالة آلامها أكثر مما يحتمل ، وهذا ما ستفعله . ستأسف كثيراً حينما تكون بين أهلك وتعلم أن هناك فتاة في فرنسا تتألم بسببك . أجل ستأسف كثيراً » . تكلمت ببساطة غريبة ، واستغاثة اليائس ، ومنذ ذلك اليوم أتخيلها بكل وضوح كما كانت واقفة أمامي بالإخلاص الذي كنت لا أريد الإصغاء إليه ، والاستغاثة التي أغلقت أذني عنها . أتخيلها كثيراً حين لا أود رؤيتها حلماً أراه . كانت تتوسل من أجل كبريائها ، ولكون [illegible] تنازلت عن كبريائها ، ولكنها لم تنجح [illegible] . ظننت أن الصندوق يحتوي خطابات غرامية ، ولكني وجدت عكس ذلك ، فأول ما قرأت دعوة [illegible] ، وكان الإمضاء باسم « أرمان » [illegible] من الاسم [illegible] أنه قريب للعائلة وصل مؤخراً إلى [illegible] . نظرت إلى صوفى بجفاء وقلت : « كل هذه الضجة حول دعوة للعشاء إذاً ؟ هل إذا عرفت أن مسيو أرمان سيتناول عندكم العشاء يضحكك ذلك ، وتضيع فرصتك الوحيدة في السعادة ؟ » ثم قرأت الخطاب بصوت عال وتمهل . لم تجبني . بل كانت تجلس وبجدها تحبس دموعها وكل الألم بادٍ عليه . أخذت الخطاب التالي ، إنه مسيو أرمان يكتب ليشكرهم على العشاء ، فقد كان لطيفاً وكان شكره عظيماً صادراً من قلب رقيق لم يشعر بضغط النفس . وجدت بعض الكلمات تتكرر بشكل واضح ، فحاولت حل رموزها ، ولكني وجدت بعض الخطأ من الوجهة الفرنسية ، فقرأت غيرها لعلي أجد ما يفيدني . وكنت أثناء ذلك أقرأ بعض الجمل بصوت مرتفع لعلي أفزع صوفى فأضطرها إلى الاعتراف ، غير أن عينيها لم

تتغير . ثم بدأت أقارن بين الخطابات ، فكلها تحمل الخط والامضاء « أرمان » وهي تعطي صورة لفتى عاش في باريس السنتين السابقتين للحرب ، وتعد سجلاً للحوادث من زيادة الشاعر ودور التمثيل إلى الاجتماعات والجوائز والسابقات . إذا كان لهذا الجل معنى تماماً فليكن من اكتشاف ، ولكن كيف لم تر خطاب منها في باريس ؟ وبدأت أشك في تقديري ، فقرأت غيرها ثم رجعت ثانية إلى الأول وقارنت بعضها بالبعض ، بدأت أخاف من أن تكون هذه الخطابات حقيقية . ولاحظت الأسلوب يتغير بكل بطء ولكن وضوح ، وبدأت أشهد تقدم مسيو أرمان من فتى ريفي إلى مدني يفقد شيئاً فشيئاً الارتباك ويصقل برقة باريس . فالتفكير لا يتغير والأمر يتجلى بإعجاب في رشاقة السيدات . وبالاختصار لقد ملأ مسيو أرمان ملك زمام نفسه . إنها خطابات حقيقية ، ولكنها لم تكن غرامية . نظرت إلى سوق متعجباً ألا ترى أن هذا الذي افتتح الصندوق ؟ إن الخطابات تسجل بدء معرفة ، ثم نمواً مطرداً لصداقة بين فتى وفتاة ، لا شيء غير ذلك . ربما كانت تتمنى الزواج ، ولكن لم يكن هناك أي إشارة إلى هذا . كنت لا أزال متحيراً بينما رفع الضابط نفسه من المتكأ ومشى إلى سوق ، وكان يتحرك والألم ظاهر على وجهه ، فلم أشك في صحة جرحه . لقد كان حقيقياً كالخطابات ، انحنى على سوق وبكل رقة رفع يدها عن وجهها وقال : « سوق : لم أعرف أن أفكر في أنك احتفظت لي بهذه المكانة من نفسك ، وكنت أقول من زمن ما أقوله الآن . إني أرجو إذنك بالتقدم إلى مدام فيلانوف لأطلب يدك للزواج ! » في ثانية واحدة انهار بيتي الزجاجي . كان الضابط مسيو أرمان . لقد احتفظت بكل ما كتب أرمان كعادة السيدات ، ولكن دون علمه . كان يجب ألا يعرف ، فكبرياؤها تمنعها من إظهار هذا السر ، لأنها كانت هي العاشقة . أما هو فلم يكن إلا الصديق ، حتى الكلمة التي ألقاها كانت تحوي كثيراً من الرحمات وقليلاً من الحرارة ، ففهمت جيداً كيف أني أذللتها كثيراً . وتحجب مسيو أرمان رفعت رأسها بسطء وقالت : « إنك تريد أن تزيل عني الخجل . إني أفكرك كثيراً ، ولكنك قلت ما قلت بسبب هذه الخطابات » فقال لها : « كلا ! » ولكنها أجابت بحزم : « لو أن هذا السيد لم يفتح الصندوق فربما كنت تقول ما قلت الآن ، وعندئذ أكون ملك السعادة الحقة . أما الآن فسأشعر دائماً أن الخطابات هي الحافزة لك على ما قلت » ثم انحنى لها مسيو أرمان .

لقد أضعت عليها فرصة السعادة . إن الصداقة التي بينهما ربما انتهت بالزواج لو تركت لنفسها ، ولكني لم أتركها ، فقلت لها : « سيدتي إني آسف » التفتت إلى وقالت : « يا مسيو بعد معرفتك لقد ضاع الآن وقت الندم » وبينما أنا واقف لا أعرف ماذا أفعل قالت بكل رقة : « ألا تذهب يا سيدي ؟ » .

خرجت من الغرفة ومشيت في الظلام مع الحراس ، ولكني لم أفكر في أي خطر يقابلني ، فالندم قد علكني . لقد سلكت مسلكاً ليس فيه بطولة ولا شرف ، بل ولا أي خلق كريم . لم أستطع أن أعرف الصدق حينما صرخ في وجهي ، ولا الأمانة حينما تراءت لي من عيني الفتاة السوداوين . إني أفكر بأمل حائر : هل كان الزمن بعد ذلك كفيلا بإصلاح ما أفسدت ؟ وحتى لو عرفت فإني سأذكر وأنا في ظلمة الندم ليلة العيد هذه

ترك الكولونيل بقية السيجارة يقع من يده وقال وهو ينظر في الساعة :

« أرى أننا تأخرنا عن ميعاد الأوبرا » .

راجية فريمي

حظ الأمم من فصائل الدم

[تكلمنا في العدد السابق عن فصائل الدم المختلفة وأشرنا في آخر المقال إلى الإحصائيات الطريفة الخاصة بتوزيع هذه الفصائل في مختلف الأمم . ووعدنا أن نتابع القول لنشر شيء من هذه البحوث وتلك الإحصائيات ولا سيما المصرية منها . وقد تفضل علينا حضرة الدكتور يوسف محروس الطبيب المشرف على معامل مستشفى الجيش المصري بكثير من المعلومات استقينا منها ما سنورده للقراء في هذا المقال فله منا جزيل الشكر] (المحرر)

بعد أن اكتشف اختلاف الأفراد من حيث الفصيلة التي ينتمي إليها دم كل منهم ، اتجه الباحثون إلى معرفة مقدار توزيع هذه الفصائل المختلفة في كل أمة من الأمم وساعد على ذلك ما نبه إليه العلماء من أهمية هذه المباحث من ناحية إسعاف جرحى الحرب بنقل الدم إليهم لتعويض ما فقدوه أثناء النزف . ولما كان من الضروري إجراء هذه العملية بأسرع ما يمكن ، فقد رؤي أنه مما يهون على الطبيب مهمته ويعينه على سرعة الإسعاف ، أن يكون الجندي أو الضابط قد فحص من قبل وعرف إلى أي فصيلة من الفصائل ينتمي دمه ، ووضعت له علامة تدل على ذلك ، بها يعرف الطبيب أي نوع من أنواع الدم يستعمل عند اللزوم .

وقد أدى البحث الواسع في فصائل الدم لأغراض علمية مختلفة إلى نتائج ذات أهمية خاصة ، إذ لوحظ أن نسبة توزيع الفصائل الأربع تختلف باختلاف توزيع الأجناس البشرية . فبينما نجد في بعض البلدان تغلب نسبة الذين تحتوي كرات دمهم على الأجلوتينوجين « ا » « A » بالنسبة إلى من تحتوي كراتهم على « ب » « B » أو من خلت كراتهم من الأجلوتينوجين ، إذا بنا نجد بلاداً أخرى تغلب في سكانها نسبة الذين تحتوي كرات دمهم على « ب » « B » . كما أننا نجد بلاداً يزداد فيها عدد الذين تخلو كرات دمهم من النوعين .

وقد لوحظ عند فحص نتائج تلك التقاسيم أن الأمم التي تسكن شمال أوربا كانجلترا وفرنسا وألمانيا يكثر في دمها الأجلوتينوجين « ا » « A » فإذا ما اتجهنا من هناك شرقاً أو جنوباً ، أخذت نسبة هذا الأجلوتينوجين تتناقص بينما تزداد نسبة الأجلوتينوجين « ب » « B » ، حتى تصل إلى نهايتها العظمى في الهند .

ومن الطريف أيضاً أن نسبة من لا تحتوي دمهم على الأجلوتينوجين مختلفة التوزيع على وجه الأرض ؛ فبينما نجدها في الأجناس الأوربية والأمريكية تتراوح بين ٣٥ ٪ و ٤٠ ٪ ، وفي الأجناس الأسيوية تتراوح بين ٢٠ و ٣٠ ٪ تكون هذه النسبة عالية جداً في بعض الأجناس القديمة التي ظلت محافظة على وحدتها متجنبة الاختلاط بغيرها ؛ ومثل هذه الأجناس الهنود الحمر والأسكيمو حيث تصل نسبة الفصيلة « O » إلى ما يزيد على ٥٠ ٪ بل إنها قد تزيد على ٩٠ ٪ في بعض الجهات . وهناك قبيلة من الأسكيمو تبلغ فيها هذه النسبة ١٠٠ ٪ .

والظاهر أن الفصيلة « O » كانت الأصل في الأجناس الأولية ، التي ظلت على الفطرة ، ولم تختلط بغيرها ، ثم حدث أن وجد في العالم جنس ظهر في دمه أجلوتينوجين « ا » كما ظهر في دم جنس آخر أجلوتينوجين « ب » . (تحدث هذه الظواهر في الطبيعة ويطلق عليها لفظة طفرة ولا يعرف سببها بالضبط) . ثم حدث بعد ذلك اختلاط بين هذه الأجناس التي ظهرت فيها تلك الطفرات بالأجناس الأصلية التي خلت كراتها من الأجلوتينوجين ، ومن ثم أخذت

النسب المشار إليها آنفاً تختلف زيادة ونقصاً[1] .

وقد قسمت الأجناس البشرية تقسيماً مبنياً على هذه الفروق المشار إليها هنا ، وقد اتخذت نسبة خاصة أساساً لهذا التقسيم وهي النسبة المسماة بالدليل الجنسي ، وتحسب بالكيفية الآتية :

متى عرف مقدار النسبة المئوية في جنس من الأجناس للأفراد الذين يحتوى دمهم على أجلوتينوجين ا والذين يحتوى دمهم على ب والذين يحتوى دمهم على ا و ب معاً ، يجمع الرقم الدال على النسبة الأولى على الرقم الدال على الثالثة ، ثم يجمع الرقم الدال على النسبة الثانية على الرقم الدال على الثالثة ، ويقسم المجموع الأول إلى المجموع الثاني ، فينتج هذا الدليل الجنسي الذي يصح كتابته بالرموز : $\frac{ا + اب}{ب + اب}$

وقد اعتبرت الأجناس التي يزيد فيها هذا الدليل على ٢ أجناساً أوربية ، والأجناس التي ينقص فيها هذا الدليل عن ١ أجناساً أسيوية أفريقية . وبينها أجناس وسط هي التي يقع دليلها بين ١ و ٢ . وهذا جدول فيه بعض تلك الأرقام :

	المجموعة حسب نوع تركيب الكريات الحمراء	ا ب ٤	ا ٢	ب ٣	لا ١	الدليل الجنسي	عدد الأشخاص المختبرة	المراجع
الأجناس الأوربية	الإنجليز	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	٥٠٠	عن هيرشفيلد و لاندشتاينر
	الفرنسيون	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	٥٠٠	عن هيرشفيلد
	الإيطاليون	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	٥٠٠	عن هيرشفيلد
الأجناس الوسط	الألمان	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
	الأتراك	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	عن هيرشفيلد
	العرب	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	٥٠٠	عن هيرشفيلد
الجنس الهندي	[illegible]	٣	٣٩	٩١	[illegible]	١،٢٨	١٠٠٠	[illegible]
	الهنود	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	عن هيرشفيلد ولاندشتاينر

ومما لا شك فيه أن نتائج البحوث في هذه الناحية تلقي ضوءاً يساعدنا كثيراً على حل أصعب المسائل المتصلة بأصل الإنسان ، لكن ما وصل إليه العلم في هذا الصدد لا يزال محوطاً بالشكوك ولابد من إجراء أبحاث كثيرة وتحليل نتائجها وربط بعضها ببعض وبمعلومات أخرى قبل أن نطمع في الوصول إلى معرفة أصل الإنسان من هذا الطريق . ولا يمكننا الآن أن نقطع بصحة ما ذكر سابقاً من أن بعض الأجناس وجد قبل غيره ، وأن الذي يحتوى دمه على ا أو ب وجد متأخراً عن الذي لا يحتوى أيهما . وإذا استطعنا أن نعرف بصفة يقينية أي الحالتين أقرب إلى البداية : وجود الأجلوتينوجين ا و ب أو عدم وجودهما قربنا قرباً عظيماً من حل مشكلة أصل الإنسان .

ومما يساعد على الوصول إلى نتائج شافية ، التعاون بين الأمم في إجراء بحوث واسعة النطاق متجانسة في وقت واحد وتنظيمها تنظيماً محكماً على أساس دولي منظم .

(١) هذه المسائل ما زالت قيد البحث وهناك افتراضات علمية وجيهة عن حل تلك الافتراضات ، ومن أهمها أنه قد توجد بالفعل في دم بعض الفرق المختلفة أجلوتينوجين ا و ب ولكنها مختفية بحسب تحليلها ، فإذا أخذنا بالرأي القائل بأن الجنس الأصلي هو الذي يخلو من ا و ب وأن الجنس الذي يحتوى أيهما ظهر متأخراً بعد ذلك الجنس الأصلي .

لجة الليـــــل

يا « لجة الليل » حتى البدر « ملاحا »
واستقبلى نجمك الوضاء « سباحا »
طال السهاد به حتى لأحسبه
شبحا يناجى أمام الليل أرواحا
واهتز فى الأفق حتى لا قرار له
كأنه قلبُ إلفٍ إلفه راحا
والزهر رق له فى سهده فبكى
كأنما ظله فى الأفق « فلاحا »

شيت وجه « دُ كاله » غير راحة
فيتيتشك نور الفجر جتاحا
هذا تعيشى تعيش ، شجع متكلم
قد شال الرفت إبسام وإصلاحا
الديك سيادك الجدود صيبه
فآذنى يعيش كلـــا صاحا
وخبريها أصاح الديك تحك مرة
تأهبًا لهبطك ، أم قد صاح مرتاحا ؟
يالجة الليل ما عذى مشاعرنا
كرؤية الروض بكاه وصدحا
الروض فى « مأتمه » ، يبكى عليك ، وأما
يأذ الصباح أقات فيه « أفراحا »

شاعر الريف

ومثل هذه البحوث أجريت فى أوربا من زمن بعيد ، ولكنها لم تجر فى مصر إلا حديثا ؛ وأهم تلك البحوث المصرية التى أجريت لمعرفة توزيع فصائل الدم بين المصريين هى التى قام بها حضرات الدكاترة : محمد ... لاعتبارات إحصائية ثم فحص دمها . وقد لوحظ أن نتائج المجاميع المختلفة متجانسة ومتشابهة ، ... وطنطا و... ول . ... خريطة العالم ، ورسم عليها توزيع



الجنس الأوربى ، الجنس المتوسط ، الجنس الحبشى ، الجنس الآسيوى ، الجنس الأمريكى الأسيوى

وعزيز وعبدوش . وقد أدت جميعها إلى نتائج متقاربة .

وكانت أحدث تلك البحوث وأوسعها نطاقا هى التى أجراها الدكتور عبدوش فى المستشفيات العسكرية على جنود الجيش ، وقد قسم الجيش إلى مجاميع كل منها الأجناس البشرية ، وقد بين عليها توزيع الجنس المتوسط ؛ ويتبين منها أننا نحن المصريين ننتمى إليه ، كما أنها جمعتنا والعرب والترك والروس فى صعيد واحد من هذه الناحية الهامة .

إليهـــا !...

رتّل الفجر آية مسكينـــه
وانحنى النور فوق خـد السكينة
وسرى فى الفضاء يرنح فى السكو
ن ويغشى الأماكن الساكنه
نغمات كأنها دفقة السحر تهادت مــسحاة محزونه
كل شىء فى الكون يضحك بشراً
ويغنى النـــــور زهواً لحونه
العصافير فى رباها تنادى والأزاهير كلها مفتونه
والسهول الخضراء تبسم فيهـــا
نفحات تنــــاثرت فى [illegible]
القطيع المختال أهوى على الـ[illegible]
ل يغطى [illegible]
والفراش الجميل طرّف فى الأز[illegible]
هى وغنى [illegible] بأجنحته
بالصبح تموج السحر فيه ونهادى على مداه الحزينه
يقطر الشعر هائماً فى رؤاه ويذيب الأحلاق منه عتينه
ليلة من كآبة أغشتها دفقة من عصابة موزونه
كغريق تقاذفته الهوادى فى خضم والموج يقفز دونه
أغمض الجفن مكرهاً حين ولّى
أمل الحيـــاة لن ينسيه
وأفاق الغـداة حياً معافى ورأى حوله رجال السفينه
الأمانى سحابة حيث تمضى
وهى بؤس إذا قضت مكنونه ! ...

* * *

ورمت الفتاة ظلماً بهجر وصدود وقلت عنها خؤونه
تشتق الظلال حتى تنال نجيا لا فؤاد يريدها أن تصونه
قلت عنها بأنها غادرتنى حيث تلق المنى وتلقى فتونه
حيث تمشى مواكب السعد سكرى
تتخطى فـــــؤادها الظنينه
غير أنى وجدت بعد قليل فاذا بالفتاة روح أمينه
زهرة لن ينال منها خداع وكلام منمق تحسبونه ...

* * *

يا فتاتى أعلنك اليوم حباً أججته آفاقى المحزونه
وغرامى يثور ملء فؤادى قرحته أمواج دمعى السخينه
لن تكونى وجدت عندى وفاء لهواى فيا للقلب مصونه
أو تكونى وجدت عندى ازدراء
لغرام أظلال شـــــق جبينه
[illegible] فى [illegible] غير حب
ـسخيص وعطف نفس حزينه
[illegible] الظلال والغرام سعين يقف الدهر والمصائب دونه
ورؤى السكون والحب يسرى
فى قلوب تحب ما تحـــــتويه

* * *

يا فتاتى الغـــــداء عفوك إنى
قلت ما قلت تحت وطء الخشوع
لا تقول السكون يبادلنى ويهلى
غـــــرام يكاد يبدى جنونه
أنت ما زلت تُنعمين بحب مطلق حائم فلا تبعدينه
قولك الظلال حــــين شىء خداع
أنت يحب .. للهوى .. لسكينه !..

(دمشق) يحيى الشهابى

أنباء وآراء

قصة أبي زيد الهلالي

كنا قد وعدنا قراء الثقافة بمناسبة استفهام أحد القراء عن حقيقة الأمر في قصة أبي زيد بأن ننشر شيئاً عن هذه القصة . وقد وردت إلينا بضعة ردود من حضرات القراء تناولت بالبحث منشأ هذه القصة وتاريخ بني هلال ، وقد عثرنا في نفس الوقت على بحث للأستاذ أحمد أمين عن شخصية أبي زيد الهلالي نشر في مجلة الإذاعة اللاسلكية بالعدد ٢٦١ بتاريخ أول أبريل سنة ١٩٣٩ نجتزئ منه ما يأتي ، راجين من شاء من حضرات القراء الرجوع لزيادة الإلمام إلى هذا العدد :

كان أبو زيد هذا في القرن الخامس الهجري من قبيلة « هلال » وتنسب إليها فقيل هلالي .

وهلال هذه كانت قبيلة كبيرة تسكن نجد يجاورهم في مسكنهم قبيلة أخرى اسمها سليم ، وكانت هلال وسليم جفاة متلازمين متآلفين ؛ يخرجون من ديارهم فيغيرون على أطراف الشام والعراق حتى تعبت منهم الدولة العباسية وأرسلت في أيام الواثق سنة ٢٣٠ حملة بأمر القائد التركي (بغا الكبير) لتأديبهم على ما ارتكبوا من فساد في « المدينة » .

وهاجر قوم من « هلال » و « سليم » إلى مصر ونزلوا أولاً في الوجه البحري ، ولكنهم ساروا سيرتهم الأولى من سلب ونهب ، حتى ضج منهم الناس ، فأمر الخليفة الفاطمي العزيز بالله (٣٦٥ — ٣٨٦) بطردهم إلى الصعيد ؛ ولكنهم ظلوا في الصعيد كما ظلوا في كل مكان من سلب ونهب وتخريب — وكان من بني هلال هؤلاء فروع مختلفة ، منهم زغبة ورياح وعدي ، عم شرهم واستغاث أهل البلاد من شرهم ؛ وفي خلافة المستنصر الفاطمي ثارت بلاد المغرب عليه فنصحه بعض مشيريه أن يبعث إلى المغرب هؤلاء العرب من هلال وسليم ، فإن ظفروا بالثائرين فقد كسب تلك البلاد وأخضع الثورة وظفر بالخصوم ، وإن انهزموا وقى الله مصر شرهم ، فأرسلهم سنة ٤٤١ وأعطى لكل واحد منهم بعيراً وديناراً ، وقال لهم قد أعطيتكم المغرب ، ففرحوا بذلك وجازوا النيل إلى برقة ببلاد المغرب ونزلوا بها وافتتحوا أمصارها واستباحوها ، وكتبوا لإخوانهم في مصر يدعونهم إلى السفر إليهم ويصفون لهم ما بها من خير ونعم ، فأرادوا الرحيل فمنعهم المستنصر حتى يأخذ من كل واحد دينارين ، فعوض بذلك ما دفعه . وسارت بطون سليم وفروع هلال من دياب وزغبة إلى تونس كالجراد المنتشر ، لا يمرون بشيء إلا أتوا عليه حتى وصلوا إلى تونس سنة ٤٤٣ ، وقسموا البلاد بينهم وبين قبيلة سليم ، فأخذت سليم شرق تونس وهلال الغرب ، ووقعت بين هؤلاء العرب وبين سكان البلاد الأصليين من البربر كقبيلة زناتة وصنهاجة حروب يطول ذكرها ، كما وقعت الفتن والحروب بين بعض العرب وبعض ، وبعض البربر وبعض ، وكان ذلك فيما بين سنة ٤٤٠ وسنة ٤٦٠ هـ واشتهر في هذه الحروب رجال كثيرون منهم دياب بن غانم وأبو زيد الهلالي .

هذه الحروب وهذه الوقائع في القرن الخامس الهجري في بلاد المغرب هي ميدان لسيرة أبي زيد .

وهذه القصة ثلاثة أقسام : القسم الأول منها يصف تاريخ بني هلال في بلاد السرو (وهي منازل حمير بأرض اليمن) وكان من أعيان الهلالية جابر وجبير أبناء المنذر

الهلالى ، وقد رحل حسن بأمه إلى نجد وصار فيما بعد سلطانها .

أما القسم الثانى فتدور حوادثه حول رحلة بنى هلال إلى نجد وقد ألجأتهم إلى هذه الرحلة من السرو إلى نجد مجاعة عظيمة فى بلاد السرو والجن .

وقد استقبل الهلاليون فى نجد استقبالاً حسناً من الملك غانم وابنه دياب (وكان دياب من فرع حسن) ومن بنى زغبة .

وقد وقعت الحرب أخيراً بين دياب ابن غانم وأبى زيد الهلالى لأسباب نسائية يطول شرحها وانتهت بانتصار أبى زيد وخضوع دياب .

والقسم الثالث تدور حوادثه حول رحلة الهلالية إلى الغرب ، فإن أبا زيد ذهب مع أتباعه إلى تونس ليبحث عن أرض خصبة لا حلت المجاعة بنجد ، فلما غزوا تونس واتصلوا بالبربر حدث أن وقعت « سعدة » بنت الزناتى خليفة وهى من البربر فى حب « مرعى » أحد أصحاب أبى زيد ، وقد وقعت حروب بين الهلالية [illegible] ذلك انتهت بقتل الزناتى خليفة ، ثم اختلف الهلاليون [illegible] بينهم على قسمة أملاك الزناتى خليفة ، [illegible] أبى زيد ودياب انتهت بقتل دياب لأبى زيد ، فاجتمع قوم للأخذ بثأر أبى زيد منهم بريقع والجازية بنت الحسن وانتقموا من دياب وقتلوه ، وقد قتلت الجازية أيضاً فى هذه المعارك .

شاعر حقاً

قرأت فى العدد الثامن والثمانين للأستاذ الفاضل ع . ح مقالته « من وحى الأقلام » ، وعجبت منها لقوله قبل التحدث عن بعض ما كتبه الأستاذ شفيق جبرى من تقديس المعانى :

« الأستاذ شفيق جبرى كاتب مجيد ، يستحيى فيه أن يحتفل وثباً بما يكتب ، ويتحرى فيه بعض الظرافة والجدة ، وأحسبه شاعراً فى نظراته وتأملاته وخواطره » .

عجبت لهذا لا لأنى أنكره ، بل لأنى رأيت قليلاً فيه أن يُعَز من شعره أنه شاعر فى نظراته وتأملاته وخواطره ،

ولا يعرف ذلك من شعره الفنى ملأ ديوانه (نوح العندليب) المطبوع من نحو عشر سنين ، ومضى على عجبة من الصحف هذا العواطف وهز الشاعر وحلّق فى سماء الخيال .

إنه من مقدمى الطبقة الأولى من شعراء الشام ، سكب عبراتها فى قريضه الباكى ، وظلم مسراتها فى شعره الباسم ، وردّد زماعها وشكواها فى قصائده الخالدة . وهو الذى مثلها فى مآتم الملك والشعر فى دار الحول فى الغرب . وهو الذى بكى « مصر العزيزة » شاعرك أمير شعراء العرب فى حفلة تأبينه التى أقيمت فى دمشق ، وهو الذى قال منه إن شعر العرب لم يجد منذ ألف عام له مثيلاً ، وهو الذى حدثنا عنه حديثاً فى كلية الآداب بدمشق حديثاً ممتعاً .

لا عجب أن تمضى قيمة عفاة على بعض الباحثين [illegible] الأستاذ الشاعر نفسه الذى كاد يصبح شاعر حفلات غير بطالع به الناس ، ولكن شعره فى ذلك على [illegible] من شعراء العروبة الخالدين ، وقد [illegible] من كانت قصائده تدعى بالحوليات [illegible] .

ويرجع بعض التبعة إلى ضعف أسباب التعارف بين الأقطار العربية ، وزهد كثير من أبنائها فى مطالعة غير الصحف والمؤلفات المحلية .

وبعد فإن عجيباً أن يسمع قديم اليونان من هوميروس وغيره ، ويسمع قديم العرب من امرئ القيس وغيره ، ويكون لأولئك (الجلاديوم) ولهؤلاء أسواق عكاظ ومجنة وذو المجاز ، ثم لا يكون لحاضر العرب منبر يشرعون حوله بالذين يهتفون بعظمة ماضيهم ويقتدون بعد مستقبلهم ، ويتكبون أنس القلوب الواجفة ، ويطردون فتستنشق السطر وتستقبل البشر وتنشط فى الحياة !

فهل من يسمون لحفلات تروح فيها لمملكة الشعر كل عام شاعراً ، وتؤلف له وزارة تشرع بها دولة الشعر العربى ؟

(العراق — ...) أحمد مظهر العظمة